روايات عبير الجديدة

روز ماري باردجر

البيت الخشبي الصغير

WWW.REWITY.COM
مرمورية

روايات عبير الجديدة

WWW.REWAYAT.COM
روايات عبير

البيت الخشبي الصغير

الفتاة الشابة ، كانت تربي اخيها واختها بصعوبة. ولكن عندما علم شارل بانها هي التي تتولى حمايته وقع عليه ذلك الخبر بصعوبة. ولكن سرغامض جعله يدعو الاولاد لقضاء العطلة الصيفية في منزله - ولكن بقيت دومنيك وحدها في بيتها ، لانها كانت تخاف من شارل ذلك الكاتب المشهور والفاتن.

الفصل الاول

«صباح الخير يا عزيزتي، اين هيغو؟» سألت دومنيك اختها الصغيرة التي تبلغ التاسعة من العمر، والتي كانت تكتب فروضها في المطبخ.

قفزت ماليسا عن الكرسي، ورمت نفسها بين ذراعي اختها الكبيرة.

«دومينك، واخيراً عدت! لقد كنت قلقة!».

«انا آسفة، يا عزيزتي، لقد تعطلت سيارتي، اين هيغو؟ لماذا لا يكتب فروضه هو ايضاً؟» شرحت لها دومنيك وهي تضع الصندوق من يدها كي تستطيع خلع معطفها.

«لقد ذهب الى الصيد» اجابتها ماليسا وهي بشوق لمعرفة ما تحمله دومنيك من حلويات.

«الى الصيد! بمثل هذه الساعة، وبهذا الطقس! يا له

من عفريت! لقد قلت له مراراً ان يعود فوراً من المدرسة ويهتم بدروسه! انه مصاب بالرشح، ويجب علي ان استيقظ اليوم مئة مرة على سعاله! اين ذهب يصطاد؟؟».

«في المانور على ما اعتقد. لقد قرر ان يتردد دائماً الى هناك الى ان يلتقي بالمالك الجديد».

وامسكت ماليسا علبة البسكويت واخذت تنظر اليها بنهم. وبعد قليل صرخت متأففة وهي تفتح احد الاكياس.

«اوه، لا! مقانق ايضاً نحن نأكل مقانق كل يوم ومنذ اسبوع تقريباً».

«انت تبالغين، انها المرة الثانية فقط، كما وانك تحبين المقانق!».

«اما الآن فلا! واتمنى ان يصطاد هيغو سمكة فانا احب السمك اكثر!».

«هذا خبر جديد! وفي المرة الماضية لم يعجبك السمك. على كل حال عندما سيعود هيغو سيكون لي معه حديث طويل لأنني حذرته امس من القيام بمغامرات في ميدان منوار» ثم نظرت الى الموقد وازداد غضبها.

«انظري، حتى انه نسي ان يملأ الموقد كعادته، لو سمحت يا مليسا، ناوليني بعض قطع الحطب، بينما اتناول طعامي، وبعد ذلك ساشعل النار ثم اذهب لأبحث عنه».

«حسناً، يا دومنيك، ولكن هذا ليس عادلاً! فليس من مهمتي ان احضر الحطب واقوم باعمال هيغو».

صعدت دومنيك وارتدت بنطلون جينز وكنزة. فمنذ ان توفي اهلهم واخواهم في حادث سيارة ودومنيك تهتم

بالصغار، ولقد بيع البيت، وبالمال المتبقي انهت الفتاة علومها كي تصبح مدرسة. ومنذ ان حصلت على الدبلوم غادرت سدني كي تبدأ حياة جديدة في تاسماني.

حصل كل هذا منذ سنة، وكانت دومنيك في العشرين من عمرها ولحسن الحظ وجدت بسرعة عملاً في مدينة هوبارت وسكن الثلاثة في منزل متواضع، ومنذ مدة اصبح هيغو صعب المراس، لا يطيع اخته.

بعد ان اشعلت دومنيك النار، اتجهت نحو مستنقع منوار. وتوقفت مذهولة، هيغو موجود هناك يجلس وحده ويبدو عليه الحزن... وهمت دومنيك ان تناديه، لكنها لاحظت فجأة ان رجلاً طويلاً يقترب من اخيها. فرفع هيغو رأسه نحوه ثم عاد لمتابعة الصيد بهدوء وكأنه يحق له الصيد في هذا المكان.

من المؤكد ان هذا الرجل هو نفسه المالك الجديد لهذه المانوار يبدو وانه عنيف، واثق من نفسه ومن قدراته. وكانت بعيدة لا تستطيع ان تميز ملامح وجهه، ولكنها لاحظت شعره الاسود لون عينيه الغامق وكان جسمه رياضياً واكتافه عريضة فارتعبت دومنيك وخافت على هيغو، هل يمكن له ان يكون فظاً معه؟.

لا... لقد كانت مخطئة: فعلى العكس يبدو ان هذا الرجل يلاطف هيغو، وبعد قليل رأته يجلس الى جانبه ويتحدث معه بمودة. بالتأكيد هما يتحدثان عن الصيد، هذا الموضوع يعجب هيغو كثيراً.

ظلت دومنيك تراقبهما عن بعد، وبعد قليل اطمئنان

قلبها. فهذا الرجل يبدو انه يحب الصغار، وهو جميل ايضاً، فلا داعي للخوف. ويبدو انه لطيف ايضاً، انه يضع يده على كتف الصغيرة وكأنه والده...

رمى هيغو الصنارة في الماء وسمعت فجأة صراخ الفرح. وعندما ارتفعت الصنارة كانت سمكة كبيرة قد علقت بها، فوضعها هيغو في سطل الغسيل الاصفر. ثم نهض وكان يلبس بلوزة قطنية قصيرة الاكمام. كم مرة حذرته ان لا يلبس ملابس رقيقة بمثل هذا الطقس البارد؟ لقد نسي بالتأكيد ان يرتدي الجاكيت! بالتأكيد سيصاب بالمرض. وغداً سيضطر للبقاء في المنزل! وظل هذا الرجل المجهول يحدثه. فابتسمت رغماً عنها وهي تراهما يمسكان بايدي بعض، ثم اشار هيغو نحو منزلهم فهز الرجل رأسه. وعاد هيغو وهو يلوح له بيده مودعاً.

لم تشأ دومنيك ان يلاحظ هيغو انها تتجسس عليه مع انها كانت تشعر بالفضول لسماع ما كان يرويه له ذلك الرجل. فهل سيحكي لها هيغو كل ما دار بينه وبين ذلك الرجل؟.

«ماليسا لقد عاد هيغو».

«هل كان يصطاد؟».

«نعم وكان يرتدي بلوزة قطنية رقيقة!».

«اتمنى ان يكون اصطاد بعض السمك، فانا اريد ان آكل السمك بدل هذه المقانق!».

«مساء الخير! انتما لا تتوقعان ماذا احضرت لكما!» قال لهما هيغو ووجهه يشرق بالفرح وهو يقف امام باب

المطبخ.

«اراهن انك اخفقت، وبان المالك الجديد طردك من المستنقع. وانت تستاهل ذلك!» اجابته ماليسا.

فتجاهلها هيغو وتقوم نحو دومنيك.

«انظري، دومنيك سمك!».

فنظرت اليه بحنان.

«انت بالتأكيد تشعر بالبرد، لقد قلت لك اكثر من مرة لا تخرج دون الجاكيت، كما واني طلبت منك ان تبقى في البيت كي لا يزداد زكامك، و...».

«ولكن انظري، اانظري ماذا اصطدت لك».

«يا الهي، هل اصطدت كل هذا من مستنقع المانوار؟».

«نعم، انها احدى عشرة سمكة».

«احدى عشرة سمكة، ولكن هيغو! هل كلها من سمك الترويت؟».

«نعم، نعم».

«هيغو! هل تعرف ثمنها؟ هذه الاسماك لم توضع هناك كي يتسلى بها الجيران. ويجب عليك ان تعيد كل هذه الاسماك الى الماء. وانا امنعك من تكرار هذه الاعمال. فقد تخلق لنا مشاكل مع هذا المالك الجديد!».

«هيّا، لقد سمعتني جيداً، البس الجاكيت واذهب واعد هذه الاسماك الى الماء!».

فتبادل هيغو وماليسا النظرات، فخبأت دومنيك وجهها كي لا تضحك امامهما.

«لقد التقيته! حتى انه صافحني وكان مسروراً جداً، وقال لي انه اذا اصطدت احدى عشرة سمكة في المرة الواحدة استطيع ان اذهب الى هناك في نهاية كل شهر!» اعلن هيغو بفخر.

«لا اعتقد ان احداً يود ان يصافحك وانا اكيدة انك تكذب!» قالت له ماليسا.

«انا لا اكذب، لقد كان موجوداً وسألني من اكون واين اسكن».

«ما اسمه؟».

«شارل هاليستر. انه كاتب».

«شارل هاليستر، لقد سمعت في المدينة ان كاتباً اشترى المنوار القديم، لم اعتقد انه سيكون الشاري شخصاً مشهوراً!».

«ماذا؟ هو مشهور؟ لقد صافحت رجلاً مشهوراً! هل تعتقدين يا دومنيك اني قرأت احدى كتبه؟».

«لا اعتقد، احداث رواياته لا تظهر في دفاتر الرسوم الملونه. سوف تقرأ له عندما تصبح كبيراً اذا لم اكن مخطئة عنده ميول للمغامرات العجيبة في البلدان النائية» اجابت مبتسمة.

ومن جديد نظرت الى سمك الترويت في الدلو الاصفر.

«لقد عرفت الآن انه يستطيع ملأ مستنقعه بها».

«اني اود ان اكون معك، كيف يبدو يا هيغو؟» سألته ماليسا.

فكر هيغو للحظة قبل وصفه:

«انه رجل! رجل حقيقي!».

«ما لون شعره؟».

«اسود».

«وعيناه؟».

«سوداوتان».

«هه، ويظهر ان له لحية سوداء!».

«لا، انه بدون لحية. هذا مؤسف، لأني احب اللحية كثيراً».

«رغبتك استجابت يا ماليسا! لن تأكلي مقانق هذا المساء، اني اتساءل لماذا سمح لك باصطياد احدى عشر سمكة في نهاية كل شهر؟».

«كان يريد ان يعرف ان كان هذا يكفي عائلتي كلها، فاجبته بالموافقة، حتى اني عددت بينفو، وسألني عمن يكون بينغو فاخبرته انه الكلب، هذا لطف منه اليس كذلك؟».

«لطيف جداً، علينا ان ندفع له ثمنهم. لا نريد ان نشحذ من لورد المانوار!».

«هل تعتقدين انه لورد؟» سألت ماليسا باهتمام.

«انه يحمل حتماً لقب لورد».

«عندما ساكبر ساسكن في مانوار» اعلن هيغو.

«اذا تابعت على هذا المنوال ستنتهي الى السجن، اني اخاف عليك السيد هاليستر مشغول جداً وهو بالتأكيد لا يود ان يزعجه صغير مثلك».

في المساء يعد غسلتت الغسيل ونشرته وحضرت ما سأخذه الصغار معهم الى المدرسة في اليوم التالي جلست امام طاولة المطبخ لتقوم بحساباتها.

«ماذا تفعلين؟» سألها هيغو الذي ظهر والنعاس بادياً عليه.

«ما بالك؟ الم تنم بعد؟».

«احس بالم في حنجرتي، عندما اسعل استيقظ».

«هذا سيء! لم اندهش، تجلس عند المستنقع في البلوزة وكل ذلك من اجل بضع سمكات».

«ليس فقط من اجل السمك! كنت اود رؤية السيد هاليستر! شارل هاليستر مرة آخرى»، انه لم يتكلم سوى عن هذا الرجل طوال السهرة.

الفصل الثاني

«لا اعتقد اني استطيع الذهاب غداً الى المدرسة».

«هكذا اذن! اعتقد انك ستكون افضل في الصف من ان تكون على ضفة المستنقع. الآن اسرع الى النوم، والا سيعلمني استاذ اللغة الانكليزية انك نمت خلال حصته.

«لاحظ هيغو الاوراق المبعثرة على الطاولة».

«ما هذا كله؟ لماذا تكتبين كل هذه الارقام؟».

«هذا بسبب السيارة التي تعطلت عندما خرجت من السوق واضطررت لاستدعاء ميكانيكي لتصليحها... واني احسب التكاليف».

«انه يتطلب الكثير من المال. والد صديقي اصلح سيارته وكلفته ثروة».

«والد صديقك سيارته بالتأكيد اكبر من سيارتنا... على

www.rewity.com مـــر مـــوريـــة

كل سنعرف غداً... ساخرج غداً باكراً، لا تنسيا طعامكما، انه في الثلاجة ولا تنسى ان تضع كنزتك عليك».

«افضل ان لا تذهبين غداً الى عملك».

«للأسف ليس لدي خيار آخر».

«عندما اكبر انا من سيشتغل، وتبقين انت في البيت طوال النهار، وساشتري مانوار وسيارة جميلة وهكذا لا تستقلين الباص ابداً».

اخبر هيغو بالبكاء.

«اني اعلم عزيزي، انه صعباً علينا كلنا، ولكن على الاقل نحن سوياً. انك محظوظ معك ماليسا خلال النهار».

آوى هيغو الى فراشه، ولملمت دومنيك اوراقها عليها ان تستيقظ عدة مرات في الليل لتتفقد اخوتها تغطيهم تعطيهم الدواء. وعندما تستيقظ من غفوتها الصغيرة في الصباح تظن انها لم تغمض عينيها ابداً ارتدت ثيابها واحتست فنجاناً من القهوة وحضرت فطور الصغار ثم ذهبت كان الكاراج مفتوحاً، ولكن الميكانيكي لم يكن له متسع من الوقت لفحص سيارتها فذهبت الى العمل في سيارة اجرة انتهت من عملها الساعة الرابعة وكان عليها اما ان تركض ثماني كيلو مترات او تأخذ تاكسي وهي على هذه الحيرة فجأة سمعت صوت خطوات وفقدت التوازن عندماامسكت بها يدان قويتان بذهول واضطراب، رأت عينان سوداوتان براقتان فاجتاحها الرعب، حاولت فتح فمها لقول اي كلمة دون جدوى.

«ما اسمك؟» سألها فجأة.

«هذا لا يهمك!» ردت عليه.

تصرفها اكد رصانتها، كانت تعلم دومنيك انه ينتظر مثل هذا الجواب من يكون؟ من جديد امسكها وتأملها مبتسماً حاولت دومنيك التخلص منه.

«دعني، لا يحق لك ان تقطع طريقي بهذه الطريقة!».

«معك حق. لاحظت ذلك من طريقة سيرك، انك مستعجلة للوصول الى هدفك اياً كان».

لقد تأخرت كثيراً».

«هل استطيع ان اوصلك؟ هل معك سيارة؟».

«لا» وتابعت سيرها ولكن المجهول كان عنيداً.

«هل انت اكيدة انك لن تصابي باذى؟».

«ساكون بخير. شكراً».

اسرعت بالمسير شاعرة بنظراته المصرة من وراء ظهرها... بعد بضع دقائق لمحت سيارة لاند روفر تبطيء بقربها، اخذ قلبها يخفق من الخوف. انحنى السائق افتح لها الباب.

«اصعدي» امرها بصوت حازم وساخر.

«لا.... لا شكراً».

في نفس اللحظة بدأ المطر ينهمر.

«اصعدي!» كرر عليها بقسوة.

وافقت دومنيك مجبرة والا اضطرت ان تتبلل من المطر ومع ان السيارة كانت دافئة الا انها ظلت ترتجف. ادار السائق الشوفاج، اخذت عندها دومنيك تتفحصه، ترى من

يكون؟ هل ستصل سليمة الى دارها؟.

«انت تسكنين في فرانكلين» كان هذا استنتاج.

«نعم».

«انت لا تحبين الثرثرة» ثم اضاف:

«انت لست شقية، ما الذي دعا بك ان تغامري وتمشي في هذا الليل وحيدة وبمثل هذه الساعة. لماذا رفضت؟»

تململت دومنيك في مقعدها منزعجة.

«اضطررت... ان اقبل...».

«تحت التهديد» اكمل عنها ثم اضاف:

«لماذا لم ترجعي في وقت ابكر كيف تستطعين السير في حذاء مضحك كهذا».

لا انه لم يلاحظ حذائها.... وليكن.. لن تضيف اية تفاصيل عن مثل هذه النظرات الفضولية.

«احب السير».

«في هكذا وقت!... سيتحول هذا المطر الى ثلج!».

«اني احب هذا الوقت».

خلال سيرها سارت السيارة فوق قن دجاج، فوقعت علبة لم تشاهدها دومنيك عندما صعدت السيارة، فانحنت والتقطتها.

«هذه... لصديق» شرح لها ثم اضاف:

«هل تحبين الاطفال؟».

«انا... نعم».

«انت صغيرة ليكون عندك اطفال، ولكن هذا لا يزعجك؟ احب ان اعرف رأيك، افتحي العلبة وانظري اذا

كان هذا المعطف صالح لطفل في العاشرة من عمره. البائعة اكدت لي انه مناسب، ولكن الطفل انحف وعندي شك.. ان هذه الكنزة هي حتماً اكبر».

طوت دومنيك الثياب وسبق ان رأتهم في المحل الذي ارادت ان تشتري لهيغو وماليسا منه.

«انهم رائعين، سيكون صديقك مسروراً جداً».

«اسمه هيغو، هيغو ميكلفر، المسكين يعيش في رعب دائم مع الظالمة دومنيك ميكلفر.

نظرت الى وجهه مرتعبة انه شارل هاليستر، لماذا لم تنتبه من قبل! تذكرت وصف هيغو له رجل... رجل حقيقي لم يسبق لها ان التقت بمثله.

يا ترى ماذا اخبره هيغو عندما كانا يتحدثا على ضفة المستنقع، ماذا اخترع له هذا الشقي؟.

«هل تعرفين آل ميكلفر؟».

«اوه... نعم».

«كيف تبدو دومنيك؟ اعتقد انها غولة».

«اوه... لا... لم نسمع ذلك عنها ابداً».

«هذا غير معقول! لا ادري كيف تهتم بهذه العائلة!».

«ماذا تريد ان تقول؟».

«خذي هيغو على سبيل المثال، انه منطوي على نفسه!».

«هذا خطأ» اعترضت، نظر الهيا بطرف عينه مندهشاً.

«وكيف تعرفين».

«انا... انا اعرفه، هذا كل شيء على كل هو ليس

منطوي على نفسه» اخذ يلاحظها بانتباه.

«يبدو انك تعرفينه جيداً. الم تنصدمي عندما علمت ان دومنيك تضرب هيغو». لمعت عيناها.

«لا، هذا غير معقول هل هو من اخبرك بذلك؟».

«نعم، غريب اليس كذلك؟ لا بأس! ساكتشف من تكون عاجلاً ام اجلاً». ثم اضاف:

«بيت هيغو يقع بالضبط خلف المانوار التقيت به وهو يصطاد على ضفة المستنقع، كان جائعاً، وعندما رأيته لم يكن صعباً علي ان اعرف انه لم يتناول وجبة جيدة منذ اسابيع».

«هذا غير صحيح على الاطلاق. اني اعلم ان هيغو يأكل حتى يصاب بالتخمة».

«كيف تعرفين ذلك؟ هل كنت هناك؟ معه على الطاولة؟».

«نعم غالباً».

«اذن انت لا تزورنهم الا في نهاية الشهر!».

«نهـ... نهاية الشهر؟».

«حسب ما يقول هيغو نهايات الاشهر تكون مؤلمة لأن دومنيك تخبىء اموالها جانباً حتى تقبض راتبها، لذلك سمحت له ان يصطاد مرة في الشهر. على الاقل هكذا اكون اكيداً انه لن يموت من قلة التغذية».

«هذا كرم كبير من جانبك» همست وهي شاعرة ان وجنتاها تحترق من الخجل.

هل وقع هيغو على رأسه؟ ما الذي دعاه الى قول هذه

التفاهات. لقد حاكمها شارل هاليستر دون تحفظ وبدون شفقة.

اخذت دومنيك المحادثة بروح رياضية. انها تعلم ان هيغو يكذب، كانت مسرورة في البدء ان شخصاً مثله يهتم باخيها. لكن الآن شعوراً بالخوف يجتاحها.

شارل هاليستر رجل مشهور وغني. هل يكون عنده القدرة؟ هل يرتكب فضيحة؟ هل هي تسيء معاملة اخوتها؟ هيغو نحيف... لكن ماليسا صحتها جيدة. يأكلان سوياً نفس المقدار... حتى عندما يتشاجران لا ترفع يدها عليهما!.

«هل هيغو حقاً قال لك ان يعامل معاملة سيئة؟».

«في مناسبتين، البارحة عندما كنا نتحدث قال ان عليه ان يعود سريعاً والا عاقبته دومنيك بقسوة، اليوم جاء للقائي بعد خروجه من المدرسة وقال لي ان دومنيك ستخنقه اذا علمت انه عاد الى المستنقع».

«استنتاج شخصي!» قالت دومنيك ثم اضافت:

«ربما تود دومنيك ان لا يزعجك هيغو. انك ساكن جديد وانك بالتأكيد مشغول كثيراً، ولن يكون لك متسع من الوقت للاهتمام بطفل صغير».

«لا... ان الامر اكبر من ذلك. انت تعرفين كم ان الطقس بارد، تصوري انه كان يصطاد ببلوزة قطنية قصيرة كان يرتجف من البرد حتى ابيضت شفتاه. كان عليه ان يكون في السرير».

«اني اعرف دومنيك جيداً، واؤكد لك انها ستدفع لك

ثمن سمكاتك. آل ميكلفر ليسوا شحاذين ولا سارقين. انهم فقراء ولكنهم يدبرون امورهم. انك خدعت بطريقة او بأخرى عندهم بستان فاكهة. ذات صباح ستكتشف امام بابك سلة من اللفت».

«لفت؟ لا احبه!».

«لفت او اي شيء آخر، جزر اذن».

«يظهر انك تحبين دومنيك هذه!».

«نعم!».

«مع انها تضرب اطفالها؟».

الفصل الثالث

«دومنيك ميكلفر لا تضرب ابداً».

«ماليسا؟ الفتاة الصغيرة؟ رأيتها تلعب خارجاً ولكني لم التق بها، انها مطيعة وتحترم اوامر اختها الكبرى».

«سيصطحبها هيغو يوماً معه الى المستنقع».

«عليك ان تعذرني اذ اني لا آخذ اخبار هذا الشقي».

«بالتأكيد».

«اليوم كان بالشورت! ابيضت قدماه من البرد. كيف تفسرين ذلك؟».

«انت تعرف الاولاد يتشاجرون فيما بينهم وهم شرسون قليلاً» فضل شارل السكوت، واستنتجت دومنيك انه غير مقتنع.

«اني مقتنع ان هيغو مهمل، اعلمي انه كان بالشورت

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

في هذا البرد».

«اوه، لقد توقعت ذلك! عندما خرجت كان الصغار ما زالوا في اسرتهم، لقد نفذ هيغو ما في رأسه وارتدى الشورت بدلاً من البنطلون الذي حضرته له قبل خروجها».

«ربما دومنيك تجهل ذلك، انت تعلم كيف هم الاطفال... نادراً ما يحسون بالبرد» دافعت عن نفسها.

«كان متجمداً».

«هل كان يرتدي كنزته؟».

«كلا».

«عنده واحدة بالتأكيد».

«لقد قال لي انها ضيقة عليه».

«لهذا اسرعت واشتريت له واحدة... حتى ولو لم يكن في نية دومنيك ان تقدمها له ؟ ربما لم يكن معها مال لتشتريها له قبل نهاية الشهر؟».

«على الاطفال ان يتدفئوا الآن وليس في عز الصيف على كل لقد اخبرني عن قصة محزنة عن عطل في السيارة وتصليحها ولكن... هذا عجيب انت تدافعين عن دومنيك بينما هيغو هو من بحاجة للمساعدة».

«اني مندهشة كيف انك لم تفكر بها. انك لا تريد ان تخلط الاشياء ببعضها، آل ميكلفر ليسوا بحاجة لخدماتك ولا لصداقتك!» وصلا الى فرانكلين، فأبطأ سيارته.

«اين اوصلك؟» سألها بلطف وكأنه يتحدث مع صديقة قديمة.

«الى السوبر ماركت».

«سانتظرك».

«لا».

«لا؟».

«لا شكراً».

«آه، هذا افضل!».

شعرت الفتاة انها مضحكة جداً.

«قد اتأخر».

«لا يهم، اني صبور».

«لا، ارجوك... اني اتضايق. اذا كان ينتظرني احد وانا اتسوق» ابتسامة شارل اصبحت ساخرة بكل وضوح.

«هل هو السبب الوحيد؟».

بالتأكيد! اي سبب آخر ممكن ان يكون؟».

«لا شيء آخر، بالطبع لا شيء آخر» وبابتسامة صغيرة خرج وفتح لها الباب، لم يكن بامكانها الدخول الى السوبر ماركت».

«ما اسمك؟ شا... نعم شا... لقد نسيت! آه نعم شاك هوليستر!».

«شاك هوليستر... هذا لا يروق لي، هذا ليس اسمي حاولي مجدداً».

«اوه، ليذهب الى الشيطان! لقد تذكرت انت شارل هوليستر».

«براڤو!».

«لقد سمعت انك كاتب».

«هذا صحيح».

«اليست مهنتك صعبة! ان تخترع قصصاً وتضعها على الورق... هل يدفعون لك حقاً لقاء ذلك».

«ايه، نعم ودائماً بكرم كبير».

«هذا غريب اليس كذلك؟ عندما افكر ان البعض يدفع مالاً ليقرأ مغامراتك!».

«كيف عرفت انها تحكي عن المغامرات؟».

«آه! اني لا ادري... هذا توقعي...».

«هل تعلمين انه عندما كتبت روايتي الأخيرة امضيت ستة اشهر في ادغال افريقيا في مواجهة الخطر؟ لن اخبرك كم يكلفني ذلك... تدبير الامور في الصحراء والتنقل، المرشدين... اضيفي الى ذلك عدة اشهر في البحث في المكتبات ومسودات العمل و...».

كانت دومنيك مأخودة بحديثه ولكن لن تبوح له بذلك مطلقاً.

«يا الهي! هذا متعب مثل مهنتي!».

«ما مهنتك؟».

«اني معلمة».

«يا للصدف».

«لماذا؟» سألته مازحة ثم اضافت:

«لأن غاباتك في افريقيا بينما غاباتي موجودة يومياً في صفي؟ انت تعرف بالطبع فيلم غابات اللوح الاسود...».

«لا... لا اني انه من الغريب ان تكوني مدرسة».

«علام التعجب؟ اني مدرسة موهوبة».

«لا اشك في ذلك».

«اذن ما وجه الغرابة؟».

«لأن دومنيك معلمة ايضاً».

«لا ارى غرابة في ذلك! انها مصادفة...».

«لنقل انها صدفة غريبة».

«فسرها كما يحلو لك، على التسوق وانا اكيدة انك مستعجل، انصحك ان تذهب لتكمل روايتك».

مرت بسرعة على الكاراج لتستفسر عن حال سيارتها، ثم عادت الى منزلها مستعدة لمواجهة هيغو. لكن الطفلين كانا مريضين وبحاجة لأكثر من صحن شوربة ساخنة وكم كلمة جميلة بعد ان وضعتهم في اسرتهم نزلت الى المطبخ واشعلت ناراً واخذت تصحح اوراقها. اخذت تفكر في شارل غصباً عنها حتى نسيت عملها كلياً.

دخلت الى غرفة اخوتها لتلقي نظرة عليهما وتغطيهما فوجدت ماليسا تسعل بشدة، ساعدتها على الجلوس... يبدو ان العدوى انتقلت اليها، وضعت يدها على جبينها فوجدتها تغلي من شدة الحرارة. اسرعت فاحضرت ماء مثلجاً لتخفض حرارتها.

لماذا قال لشارل اني اضربه؟ لم يسبق لهيغو ان كذب سابقاً. اي حشرة لسعته؟ هل جعله يشقف عليه؟ هل كان يبحث عن صحبة اب؟ نظرت ناحية مسكن شارل، كان مضاء، ترى ماذا يفعل الآن؟ يقرأ ام يكتب؟.

«لم استطع النوم» قال الصبي ثم اضاف:

حنجرتي تؤلمني» وضعته في السرير ثم عادت لتلقي نظرة من النافذة على مسكن شارل لم تهتم سابقاً برجل كما

تهتم به... كما عيناه سوداوتان؟ لم تلتق بشخص ساحر ومدهش مثله.

هل هو هناك؟ هل هي تتخيل، حدقت جيداً ولكنها لم تر شيئاً المانوار القديم كان بعيداً.

شارل، شارل هذا انت؟ احساس غريب اجتاحها كلياً تراجعت بسرعة واسدلت الستائر.

يا الهي هل انا مجنونة... حاولت النوم دون جدوى فنزلت الى المطبخ لتحضر لنفسها كوباً من الشوكولا، بينما شارل هاليستر امضى ليلته في التحضير لروايته القادمة.

لماذا لا يستطيع هذه الليلة ان ينصرف كلياً الى مؤلفاته؟ ضوء وحيد يلمع في المنزل الصغير، اعتقد لوهلة ان احداً يلوح له لكنه لم يكن اكيداً... انه لا يرى سوى وجه الفتاة الشابة الجميل... وجه الفتاة التي اقلها في سيارته... اختفى الخيال من خلف الزجاج، اطلق عندها شارل تنهيدة ورجع الى مكتبه المبعثرة عليه اوراقه. انه لم يعد مهتماً بمتابعة عمله هذه الليلة.

ربما كوباً من الشوكولا يهدىء اعصابه فنزل المطبخ لتحضيره.

عند عودتها من المدرسة في اليوم التالي، اكتشفت دومنيك ان سيارة اللاند روفر الخاصة بشارل هاليستر متوقفة امام المنزل، تجمدت في مكانها مأخوذة... كيف سيتصرف عندما يعلم انها هي دومنيك ميكلفر؟.

احنت رأسها، محدثة ضجة صغيرة عند مرورها الى المطبخ، كان كل شيء هادىء. ترددت قبل ان تفتح

الباب، قلبها يخفق بشدة، كم هي غبية مما تخاف؟ فشارل هاليستر ليس سوى رجل! سيرى باي حماس سيستقبلها الاطفال وسيعرف كم يحبون بعضهم البعض. وسيدرك حتماً افتراءات هيغو.

دخلت المطبخ كانت تنتظر ان تر شارل مع الاطفال في الصالون، لم تكن تتصور ان تجده هنا في المطبخ، ضخماً... جالساً على كرسي واضعاً رجليه على الطاولة! اغلقت الباب خلفها وخطت باتجاهه غاضبة.

«ارفع قدميك من هنا!» زمجرت غاضبة عندما رأت قدميه على الطاولة ابتسم ابتسامة وقحة، تنحت دومنيك في حين اخذ شارل يتفحصها من رأسها الى اخمص قدميها. انها لم تتخلص منه بعد ذلك الوداع. لم يتحرك شارل بينما اشتد غضب دومنيك.

«رجعت اليوم باكراً. ابكر بكثير من البارحة»..

اخذت دومنيك في تحضير الطاولة متجاهلة نظراته الساخرة، اخرجت الحليب من البراد وعلبة الكاكاو من الخزانة وانحنت لتلتقط الوعاء.

«اخذت الباص قبل الأخير، عندما تكون السيارة معي اعود في وقت ابكر».

«تقصدين في سيارتك.. هل عندك اية اخبار؟» حدثها وكأنه يعرفها من سنين.

«نعم، تصليحها يكلف ثروة ولكن ما الاهمية؟».

«المال يدخل ويخرج...».

«بالضبط! هل انت تقتصد ايضاً؟».

«لا على الاطلاق، اني اعمل بجد لأستحق معاشي. واني اعمل على الا اضيع اموالي».

«هل انت بخيل».

«لا، محترس ومسؤول».

«هل سمعت سابقاً اني لست كذلك؟» لمعت عيناه مرحاً، وبهدوء وقف واقترب منها واضاف:

«هذا بالضبط ما سمعته» قالها وهو يفك ازرار معطفها.

«ماذا... ماذا تفعل؟».

«اني اساعدك ببساطة على خلع معطفك، اصبحت الآن في المنزل... ولكن ربما لم تنتبهي، سوف تتبللين».

الفصل الرابع

ارادت دومنيك ان تدافع ولكن فات الاوان. غصباً عنها سمحت له ان ينزع عنها المعطف، وضع المعطف جانباً على الكرسي متفحصاً قامتها النحيفة. بدلت ثوبها الاحمر، خوفا من ارتكاب اي حماقة دارت نحو الفرن ووجدت الكاتوه جاهزاً.

«شكرا» قالتها صادقة.

«شكراً؟ فقط؟ فقط تسمحي لي بقبلة صغيرة؟» تحركت دومنيك بسرعة حاملة بيدها الوعاء لتضع فيه الحليب نظرت اليه نظرة عميقة.

«لا، ليس هذا المساء».

«ليس هذا المساء... دومنيك؟».

«يبدو انك تريد اهانتي بهذه الطريقة، لا ادري ما الذي

www.rewity.com

يدفعني لاخفاء هويتي الحقيقة عنك، ولكني اعتقد بانه من المسلي اعتبارك انني صاحبة اللحية الزرقاء...».

وابتسمت، ان هذا المنظر يريحها بعد نهار شاق.

«هل افسدت ماليسا لعبة هيغو واخبرتك بانني اختهما الكبرى؟».

«لا، انا اكتشفت ذلك وحدي؟».

وادارت ظهرها لتركز على الشوكولا.

«اشك بذلك... عندما نزلت من سيارتك.... هل اخطأت عندما اخبرتك انني مدرسة وفهت الباقي؟».

وقف شارل خلفها، فشعرت بالارتباك فرفعت يداه شعرها عن ظهرها، وطبع شارل قبلة على عنقها، واجبرها بهدوء الى ان تلتفت نحوه، وتأملها قليلا... واخذ قلبها يدق بسرعة.

هل ينوي ان يقبلها؟.

«انت حلم، رؤيا... رؤيا اجتاحت غرفتي ليلاً» ثم ابتعد قليلاً وتأملها مرة ثانية.

«البارحة عندما كنت واقفاً في غرفة مكتبي في الطابق الاول. كان الوقت متأخراً ورأيت نوراً هنا. وادركت انني اعرفك وفي هذه اللحظة ربطت بين دومنيك وبين الفتاة التي اوصلتها الى السوبر ماركت» ظلت دومنيك حائرة، مندهشة وحاولت ان تتذكر كل انفعالات العاشقين التي سبق ان قرأت عنهم. انها لا تستطيع ان تنظر اليه وكأنه عاشق. انها ليست مغرمة به ولا هو مغرم بهاانهمابالكاد يعرفا بعضهما، انه لغريب... غريب جداً ثم اخرجت كوبين وسكبت

فيهما الشوكولا.

«لمن هذا؟».

«لهيغو وماليسا، لا اريد ايقاضهما لأنهما لم يناما البارحة. ساصعد لأراهما. وضعت الكوبين على صينية ولكن اوقفها شارل عند الباب.

«انهما غير موجودين» مضت عدة لحظات قبل ان تفهم ما يقول.

«ماذا؟».

«انهما عندي، لقد اصطحبتهما من ساعتين» نظرت اليه محدقة به.

«لماذا لم تعلمني عند وصولي؟».

«لأنك لم تسأليني».

«ولماذا اسألك سؤال كهذا وانا في اعتقادي انهما في سريرهما؟».

«لم يعودا هناك...».

«اني ارى ذلك!».

كانت تود ان تضربه بالصينية واخذت كوبه وافرغته في المجلى.

«انك غبية صغيرة».

«اسكبي لي كوباً آخر».

«اخدم نفسك بنفسك» اجابته وهي ثائرة من الغضب، امسكها بقوة فصرخت متألمة. لن تقول له كم تعاني كان يتهيأ ليتكلم معها ثم تراجع وافلت يدها ثم وقف.

فركت دومنيك يديها في حين توجه شارل الى الباب،

كيف يجرؤ على الرحيل دون اخبارها اي شيء عن اخويها؟.

«اين تذهب؟» سألته.

«الى منزلي!».

«انك لا تستطيع ذلك... هذا ليس معقولاً، هيغو وماليسا؟».

«ماذا هيغو وماليسا؟».

«اني... ان... اني لا استطيع ان اتركهما لك هكذا!».

«لم لا؟ انت لم تترددي في تركهما وحيدين في هذا الكوخ المثلج».

«كوخ!... لا يستطيع كل الناس استئجار مانوار هل تعلم؟».

«لكن كل الناس تستطيع ان تسكن في منزل نظيف، ومرتب، هذا البيت مقرف».

«مقرف؟... اني لم التق في حياتي بشخص متكبر مثلك».

ماتت الكلمات على شفاهها لأنها لم تجد صفة مناسبة تنعته بها.

خرج شارل مبتسماً حيث اوقفه تيار هواء قوي.

«انتظر».

ركضت خلفه غاضبة وشدته من قبة قميصه.

«ارجوك، افهم، اني كنت مجبرة على تركهما وحدهما خلال النهار ليس لدي حل آخر».

«اني اعمل نصف دوام... ثلاثة ايام على هذه الحال كافية لايقاعنا في عوز، لا استطيع ان اغامر بترك وظيفتي فقط لأنهما اصيبا بالزكام».

قست تعابير شارل، وفجأة دفعها داخل المطبخ.

«حسناً يا دومنيك حان الوقت لوضعك جانباً» امسكها بقوة، فتحت دومنيك عينيها البريئتين.

«جانباً! انا؟».

هزها بقوة احست بالخوف ينتابها، هل سيضربها، انه يستطيع ذلك.

«نعم، ايتها الصغيرة الغير عاقلة!» اقتربت شفتاه من شفتيها، احست بالضياع لهذا الاحساس كانت قبلته قاتلة وكأنه يحاول معاقبتها على جريمة شنيعة؟ حركة اعادتها الى صوابها. انه يحاول فك سحاب فستانها!.

«لا!...».

«لا تتحركي!».

انزلقت اكمامها عن كتفيها. كان فمه يلتهمها بشوق كبير لم تستطع دومنيك المقاومة، انها له، لشارل هاليستر. حاولت التخلص منه.

«شارل... لا!».

ترقرقت الدموع في عينيها، دفعها بوحشية، فصرخت صرخة مزقت الصمت.

«كان عليك ان تعرفي اننا سنصل الى هذا الحد! لقد شعرت بذلك اول ما التقينا. لماذا تتصرفين كالطير المجروح؟».

www.rewity.com

اخذت تحدق في حذائه صامتة، شاعرة بالخيبة والعار وسوء الحظ.

«توقفي عن البكاء!».

الفصل الخامس

اجتاح الغضب الفتاة بدون حدود.

«من تظن نفسك لتأمرني ان ابكي او لا؟ عندي رغبة بالبكاء وانا... ابكي وسأبكي...! كان هذا غرضك اليس كذلك؟ تريدني ان اشكرك!».

«انك تعلمين جيداً لماذا تبكين يا عزيزتي؟ لأنني استطعت الوصول الى هذه الصخرة الموجودة في صدرك».

«ماذا تريد ان تقول؟ اني قاسية جداً؟».

«اليست هذه هي الحقيقة؟».

«بالطبع لا».

«في هذه الحالة، كيف استطعت ترك ولدين متعبين طوال النهار؟».

«لقد سبق وقلت لك، علي ان اعمل!».

www.rewity.com مرمرية

«كنت تستطيعين تدبير من يرعاهما في غيابك».

«لقد قمت بترتيبات، لقد طلبت من قريبة لي ان تمر...» دافعت عن نفسها.

«ان تمر عليهما! وبرأيك هذا كاف؟».

«كم مرة علي ان اعيد لك انه ليس لدي خيار آخر؟ على كل انهما مصابان بالرشح وهذا ليس خطراً».

«ليس عندك احساس بالمسؤولية».

جلست على كرسيها متألمة، غير قادرة على الدفاع عن نفسها، هل يعلم ماذا يعني رعاية طفلين بهذا العمر؟ كلا هل يعلم انه سينتظر الفواتير في نهاية كل شهر؟ كلا! هل يعلم ماذا يعاني المرء عندما يواجه ثلاثين شيطاناً بعد ليلة من السهر دون نوم؟ كلا!... ولكن لماذا تقول له كل ذلك؟.

«اني افعل كل ما بوسعي» قالتها بعصبية.

«لكن الطبيب لم يكن موافقاً على ذلك».

«الطبيب؟».

«نعم الطبيب، كان عليك ان تأخذيهم اليه منذ فترة. انهما يعانيان من الشعب الصدرية البرانشيت. وهيغو متعب اكثر» وضعت دومنيك يدها على جبينها.

«اوه، لا لقد عانى هيغو الشتاء الماضي من البرانشيت لكني لم اعتقد ابداً... لم اتصور ابداً... سعلته لم تكن قاسية. لهذا السبب قمت بمبادراتك؟ لأنك اكتشفت ان معهما برانشيت؟».

نظر اليها باحتقار.

«كنت اعتقد انهم مصابين بذات الرئة! جئت لأعطيهما الكنزتين.. لقد دهشت لما رأيت، كانا جالسين على سجادة الصالون، كان المكان بارداً جداً... النار مطفأة لم اعثر على مدفئة كهربائية. اكيد نزلا من سريرهما لاحساسهما بالبرد».

«انت لن تحملني مسؤولية شدة برودة هذا الشتاء».

«انت لم تسمعين طبعاً بالمدفآت الكهربائية. انها تباع في الاسواق منذ زمن طويل. يكفي وصلها بالكهرباء ويدفأ الجو بسرعة».

«كان عندنا واحدة ولكن الكلب اتلف شريطها».

«هل تودين مشاهدتهما الآن في المانوار؟».

هزت رأسها نافية، كانت تود الذهاب بكل سرور ولكنها لا تريد ازعاجه وزيادة عصبيته.

«لا» اجابته بصوت منخفض.

شعلة من الغيظ رقصت في عينيه... ولحسن الحظ لم تلاحظها دومنيك.

«لا، لماذا؟ هل لأنك لا تقدرين ام انك لا تريدين؟».

«وغداً هل يسنح لك وقتك للاهتمام بهما».

«غداً، سآخذ فرقة الكشاف في نزهة».

«فرقة الكشاف! ما هذا؟».

«لماذا تهتمين بذلك؟» اراد ان يعرف.

«لأن ماليسا تنتمي الى هذا النادي، وكانت بحاجة لقائدة لن تستطيع ماليسا المشاركة في العيد لكن انا علي الحضور».

«حسناً، لن نتكلم عن النهار، هل انت حرة في المساء؟».

«سيكون هناك حفلة شواء للأهالي مع اناشيد حول النار... اخاف ان لا ينتهي ذلك باكراً وعندها يكون هيغو وماليسا نائمين...».

انحنى فوقها شارل، وباصبعه اجبرها على الوقوف بوجهه. ابتلعت دومنيك ريقها مضطربة.

«والاحد؟ هل عندك مشاريع للأحد؟ هل تستطيعين التفرغ لدقائق لزيارة اخويك».

«ساكون هناك يوم الأحد».

«انا اكيد انهما سيفرحان للخبر!».

نظرت اليه دومنيك وهو يذهب، عليه ان ينحني ليمر من الباب سمعت هدير سيارته. واصبحت وحيدة لم تشعر مسبقاً بهكذا وحدة وهكذا تشتت، انها بغاية الشوق ليوم الأحد.

استيقظت دومنيك صباح الأحد على منظر الثلج الابيض المغطي الهضاب. لم يكن عليها سوى ان تتحضر لرؤية اخويها اللذان في انتظارها، وربما شارل ايضاً! تمنت ذلك من كل قلبها... انه ليس وقت الاحلام. عليها القيام بالكثير من الاعمال قبل الذهاب.

بعد ساعتين كانت جاهزة. ارتدت بنطلوناً وكنزة. كان منزله منعزلاً كان عليها ان تمشي ساعة لتصل الى هناك. رأت شارل من بعيد استجمعت قواها واقتربت منه.

«صباح الخير» حاولت قولها بدون اهتمام زائد.

«صباح الخير» رد عليها بابتسامة مشرقة.

«كيف كان نهارك البارحة؟».

«كان رائعاً، الكل كان مرحاً وسعيداً».

انتبهت دومنيك الى انه كان يتفحصها جيداً. هذا الرجل غير معقول طيب.

«كيف حال هيغو وماليسا اليوم؟».

«احسن بكثير» قالها بلهجة تترجم باحتقاره كما لو انه يحملها مسؤولية صحة اخويها.

«هل نستطيع رؤيتهما؟».

«انهما نائمين».

«ما زالا نائمين؟ لقد تجاوزت العاشرة!».

«انهما متعبان تذكري ذلك... استيقظا باكراً هذا الصباح ثم عادا للنوم الساعة التاسعة».

كظمت دومنيك غيظها، لا تريد ان تبدي غضبها. كان النهار جميلاً ولا تريد ان تفسده بحماقات صغيرة.

«لو تتلطف وتخبرني عن الوقت المخصص للزيارة لأعود».

«لقد افتقدا للكلب، لو تتركيه معنا؟».

«الآن؟».

هل ينوي ان يصرفها دون ان يسمح لها برؤية اخيها واختها؟ او انه يشير الى انهما افتقدا الكلب ولم يفتقداها؟.

«هل تريدين ان تأخذي غرفة في المانوار. استطيع ان اؤمن لك واحدة».

الوحش! اي تكبر!.

«كلا شكراً، افضل غرفتي مع انها صغيرة ولكنها لي».

راقبت شارل وهو يلاعب الكلب واخذت تفكر ان المانوار موحش والكلب سيؤنس اخويها. وكلما شعرا بالراحة كلما تحسنت صحتهما اسرع.

«برأيك كم على الاطفال ان يبقوا هنا؟».

«هذا يتعلق بصحتهما. انهما بخير هنا حيث نهتم بهما اكثر من عندك بما انك لا تستطيعين الاهتمام بهما».

«حسناً، انت مسرور لأنهما يوقظانك من الساعة الخامسة صباحاً. كان هيغ يحلم دائماً بالعيش في المانوار. لن اعترض على رغباتك المتتالية».

ادارت ظهرها فتبعها الكلب. لكنها اوقفته بحركة آمره.

«انت تبقى هنا، يستطيع السيد هاليستر ان يجد ما يثير رغباتك انت ايضاً، وبرأيي ممكن ان تكون عظمة من عسل، وجبة ملوكية، لا تجد مثلها في كوخنا».

بخطوتين اصبح شارل امامها.

«ليس سريعاً! الاولاد يستطيعون التخلي عن الكلب اما انت بحاجة اليه لحمايتك».

«ليحميني؟» كررت ضاحكة ثم اضافت:

«يحميني ممن؟ منك؟» تأملها بنظرة شيطانية.

«من اللصوص!».

«نحن لسنا في باريس او لندن او نيويورك، ليس عندنا ابداً لصوص ولا خاطفين قبل وصولك».

امسكها بيدها ضاحكاً، وشدها نحوه طابعاً على رأس

انفها قبلة صغيرة.

«لنتوقف الآن عن هذه الحركات المضحكة ولنبني رجل ثلج!» صرخت مندهشة.

«رجل ثلج؟ هل تعرف كيف نبنيه؟».

«بالطبع! لقد عملت واحداً في... نيويورك، في لوندر وباريس».

«انا، لا لم يسبق لي ذلك، كنت اود دائماً ان اخوض هذه التجربة».

«في هذه الحالة، لن نضيع اي دقيقة، اين نصنعه؟ آه، هناك» مشيراً باصبعه الى مكان يطل على نافذة الطفلين.

«للأسف، لن يستطيعا ان يساعدانا، سيخيب املهما».

«خيبات الامل تساعد على بناء الشخصية هذا ما كانت امي تقوله دائماً. لقد سمعت هذا الصباح انها ستثلج لاحقاً وعندها سيلعبان في الخارج».

للحظة خلت احسا ان عينيهما تلتهما بعضهما ضحكت دومنيك.

«احب ان اسمع ضحكتك يوماً. مثل هذا يذكرني بجرس القطار».

«هل هذا مديح، سيدي؟».

«بالطبع» وضع يده بمحبة على كتفيها.

«انا مسرور لأنك حضرت باكراً، كنت انتظرك».

«حقاً...؟».

«ماذا هناك؟».

«انا... انك لم تستقبلني جيداً، لم اعتقد ان زيارتي

ستكون مشوقة. كنت اعتقدك غاضباً».

«كنت غاضباً، بدونك لن استطيع ان انهي رجل الثلج وكان سيزعجني، كنت خائفاً ان يذوب كل الثلج قبل ان تحضري».

الفصل السادس

نظرت الى شارل متضايقة وقذفته بكومة من الثلج على صدره.

«انا لا اصدقك، لماذا انا مفيدة لك، انت الخبير بصنع رجل الثلج وليس انا».

«ساذهب لأحضر لك كفوفاً».

دون ان يترك لها مجالاً للرد، اختفى ما الذي يدفعها لتكون ميالة الأن الى الدعابة؟ وهو؟ لماذا انتعش هكذا؟ هل بسبب رجل الثلج ام الاطفال ولكنهما سيتركانه عاجلاً وسنيساها ليتفرغ لروايته الجديدة. هذه الفكرة الحزينة اقلقتها. وعندما ظهر شارل لاحظ فوراً تكدرها.

«ماذا حدث؟» سألها مجبراً اياها ان تنظر مباشرة الى عينيه ثم اضاف:

www.rewity.com مرموزية

«لماذا كل هذا التجهم؟».

«اوه، لا شيء، لا شيء».

«هل تشعرين بالبرد؟ اذا كان كذلك نستطيع ان ندخل فالنار مشتعلة في الداخل».

«لا، لن ادع اي شيء يشغلني عن رجل الثلج».

«اذن ضعي الكفوف».

اطاعت دومنيك وفجأة احست بالبلل من الثلج الذي وضعه عليها شارل. انحنت لتجمع كومة من الثلج لتقذفه بها، صرخت بفرح وحاولت تفادي قذفة شارل، وعندما حاولت اخفاء رأسها طالتها طابة الثلج التي تناثرت على وجهها.

قررت ان تختفي وراء شجرة صنوبر فأختبأت بين اغصانها. فانحنت ببطء لتراه حين بانت وانكشفت وبلحظة اصبح بقربها، واخذا يتدحرجان على المنحدر حتى اصبحا في الأسفل، وجه دومنيك مشع، تقرأ عليه ملامح الفرح التي لم تخف على شارل من لحظة التقائهما.

«اني الهو جيداً معك، انك لاعبة جيدة!».

«لاعبة جيدة؟».

لقد فهمت ماذا يعني بكلامه!.

مم، تنهد حين كانت شفتاه تطبق على شفتيها بقبلة حارة لم تحاول دومنيك التملص لأنها كانت ككتلة صغيرة بالمقارنة معه، استرجعت كلامه لاعبة جيدة، انه يعتبرها لعبة الجارة التي يلهو بها دون ان يفكر بالآتي! ابعدته عنها بحركة غاضبة. امسك شارل بيد الفتاة التي تأملته بدهشة.

«ماذا حصل لك؟ انت تصارعين مثل قطة برية!».

«اني... لا اريد ان اكون صديقتك! الثمن الذي تريده سيكون غالياً جداً! فضلاً عن ذلك علينا ان نصنع رجل الثلج على ما اعتقد.

«معك حق» ثم اعطاها يده ليساعدها على الوقوف نفضت الثلج عن ثيابها، وانغمست وشارل في صنع رجل الثلج نسيت فيه كل اشجانها، واعترفت لنفسها انها امرأة ضعيفة عندما صعب عليها دفع كرة الثلج الضخمة بالرغم من كل شيء اعترفت انه من الصعب الشعور بالغضب مع شخص مثله.

صنعت دومنيك الرأس وشارل الجسد، وجدا في قبو المانوار قبعة قديمة ومكنسة وقطع الفحم للأنف والعيون والفم، وشال ازرق مقلم بالاحمر.

اخيراً انتهيا منه، ووقفا لينظرا عملهما.

«انه مدهش! اليس كذلك؟».

كانت مغطاة بالثلوج على رأسها على كنزتها لأنها كانت قد خلعت معطفها.

«لا تتحركي من هنا!».

اختفى بسرعة في المنزل ثم عاد حاملاً كاميرا بيده اخذت دومنيك تتحرك وكأنها عارضة ازياء مرحة ضاحكة حتى وقعت تحت اقدام رجل الثلج. لم يتوقف شارل عن تصويرها. ثم ساعدها على الوقوف.

«تعالي يا امرأة الثلج. عندما دخلت لأحضر الكاميرا اخبرتني حنا ان الاطفال قد استيقظوا وهم يأكلون وسألتني

اذا كنت جائعة فاجبت عنك. سنصعد لرؤية الاولاد اولاً».

«هل تلبسين اي شيء تحت معطفك؟».

«نعم بلوزة».

خلعت معطفها وقبعتها وكفوفها ولاحظ شارل ان كلساتها كان مبللاً.

«اخلعي جواربك بينما احضر لك غيرها، وستهتم حنا بتنشيفهم».

«كم غرفة في هذا البيت؟».

«اقل مما تتصوري المنزل يبدو من الخارج كبيراً لكن في الحقيقة انه لا يتألف الا من عشرين غرفة».

«عشرين؟ فقط؟».

«اوه، مع اني لم احتسب غرف الخدم وغرف الحمام وغرف الملابس وغرفة الطعام الصغيرة...».

«توقف، لقد اذهلتني! لماذا اشتريت منزل كبير كهذا؟ التدفئة فقط تكلفك ثروة!».

«بصراحة، اني لا ادري لم اسكن هنا ما يكفي لاعرف معظم الغرف غير مسكونة ولا تشغل الا من وقت لآخر. عدة اسباب دفعتني لاملكه... من يدري؟ قد اتزوج يوماً وربما سأحصل على ذرية من الاطفال... عندها يجب بالطبع شغل بضعة غرف! لا يهمني هندسة هذا البيت...».

ربما تزوجت يوماً، هذه الفكرة جعلتها تضطرب، اخذت تتصوره اباً لذرية من الاطفال.

اخذا يجولان في المنزل، حيث لاحظت ان كل الغرف

مفروشة بالسجاد السميك وبالاثاث القديم.

«هل كان يحوي المانوار على كل هذا الاثاث عند مجيئك؟».

«ليس كل شيء، خلال هذه السنوات وخلال تجوالي في البلاد صحبت مجموعة من الاغراض والامتعة».

«هذا مدهش! لم اتصور ان المانوار جميل هكذا من الداخل كما في الخارج».

«لقد طلبت فريقاً من مهندسي الديكور لاحداث تغييرات تضفي على المنزل رونقاً وجمالاً. دام العمل به شهراً قبل ان انتقل اليه».

توقف شارل قرب غرفة واضعاً يده على قبضة الباب.

«هيغو وماليسا في هذه الغرفة، فضلت وضعهما معاً كي يشعرا بالطمأنينة والأمان».

«هذا لطيف».

كانا في سريرهما، وهناك شابة تسرح شعر ماليسا، نظرة واحدة كانت كافية لتتعرف على سعادة هيغو وماليسا، تأملت دومنيك الغرفة وجدت ارضها مفروشة بالسجاد السميك، هيغو محيط نفسه بعشرات الالعاب، وعلى الحائط مكتبة ضخمة مليئة بكتب الاطفال الجديدة.

«الاشقياء! لا ادري اذا كانا مريضين حقاً، لقد استغلا الفرصة جيداً» همست دومنيك.

«انهما لم يقتحما منزلي، حنا تمضي ساعات وهي تقرأ لهما القصص وماريا الشابة لم تتوانى عن ابتكار العاب لهما».

«هذا كثير جداً».

«هذا ما يستحقانه، لا اعتقد ان الدلال والغنج سيضرهما ولو لمرة».

استجمعت دومنيك كل شجاعتها لتواجهه.

«انك تتهمني انني لا اهتم بهما في المنزل؟».

«اننا نعلم نحن الاثنين، فلماذا المناقشة؟».

«انك تظلمني. لأنه ليس لدي الوقت الكافي لاقص عليهم الروايات، الألاعبهم...».

«ليس هذا الموضوع... بل لأنك لم تصطحبيهما الى الطبيب وتركتيهما في ذلك البيت المثلج».

سألت دومنيك ماريا:

«هل انت اكيدة انهما احسنا التصرف؟».

«نعم انهما رائعان» اكدت الفتاة.

«شكراً...».

ناداهما شارل ليريا رجل الثلج من النافذة، قفزا من سريرهما ليشاهداه. فاحست دومنيك بالخيبة... ارتسمت على شفاه الطفلين ابتسامة غامضة من هذا التصرفات وكأنها غير موجودة مفضلان ان ينشغلا بالعابهما لماذا اشفقت على خروجهما؟ ما اهمية ان تضحي بكل حياتها لترعى اخيها واختها؟ اقتربت منهما وحضنتهما قليلاً وطبعت على جبهتيهما قبلة صغيرة قبل ان تعلن:

«اني ذاهبة، يظهر ان كل شيء على احسن ما يرام. لقد تذكرت انه علي بعض الاعمال وبعض الاوراق لتصحيحها و...».

اصطحبها شارل الى الباب.

«انه قرار مفاجيء؟ لقد دعوتك للغداء معنا».

«اني آسفة، عندي بعض الاعمال العالقة وعلي ان تمها...».

«سوف نخيب امل ماليسا وهيغو، انا اكيد انهما توقعا ان تبقي فترة اطول».

«انا مرتاحة ومطمئنة للأهتمام الذي يحصلان عليه هنا. على كل انا لست بعيدة ان احتاجا لأي شيء. وكما تعلم انا من ارعى الاطفال لذلك علي ان اعمل من اجل ذلك».

لم يتبعها شارل لكنها التفتت في منتصف المدخل.

«ساترك الجوارب عند حنا».

تبعها شارل مبتسماً، «احتفظي بهما».

«كلا، شكراً، تكون جواربي قد نشفت الآن».

«لن انتفع بهم، ارجوك ان تحتفظي بهم».

«حسناً، ولكني اعدك اني ساردهم لك».

«لماذا انت متشائمة؟».

«اني لست كذلك».

«آه؟ اليوم فقط؟».

«تستطيع ان تعتقد دائماً انه بسبب الثلج» قالتها قبل ان تهرب مسرعة الى الخارج.

هل يراقبها شارل من نافذة الطابق الاول؟ سألت نفسها... ربما...

نعم انه هناك، يراقبها من النافذة.

عندما زارها شارل بعد ظهر اليوم التالي، تجرأت

دومنيك وصرحت له انها كانت بانتظاره طول النهار. انها الآن نادمة لأنها لا تستطيع ان تظهر بمظهر انيق اكثر لأجل هذه المناسبة.

«مم... هذا طيب الرائحة! ماذا تصنعين؟» اراد ان يعرف.

الفصل السابع

اخذ يراقب بدقة دومنيك وهي تضع الوعاء على النار.

«انه فريز».

«فريز؟».

«نعم، ولكنه لا يشبه ذلك الذي نشتريه جاهزاً».

«آه...».

«هذا طبيعي، انت تعلم...».

«انك مازحة رديئة».

«عجيب اني لم الاحظ ذلك».

اذا لاحظت دموعاً في عيني، هذا بسبب الاوساخ التي علي ان ازيلها.

«آه، حسناً، وانا الذي اعتقدت انك غضبت لمجيئي».

«ولما يزعجني حضورك؟».

www.rewity.com
مـــرة ســـوريـــة

«البارحة، بدوت لي وكأنك متضايقة. هل كنت غير مطمئنة للرعاية التي يحظى بها اخواك».

«كلا، لقد اخبرتك اني مرتاحة جداً لذلك».

«اني اتخيل كم ان صعباً عليك الاهتمام بهما. لماذا نرفض تأمين لهم بعض الدلال من وقت آخر؟».

«ماذا تقول؟» سألته مندهشة ثم اضافت:

«هل تريد ان تلمح لي اني غيورة...».

«لماذا تبالغين في تفسير كلماتي وحركاتي؟».

«اسمع ليس لي الوقت لتعليل معنى الكلام والحركات اذا لم يكن عندك عمل فانا لدي الكثير!».

«هل لهذا السبب لم تأت لزيارة الاولاد اليوم؟ لأنك مشغولة كثيراً؟».

«استنتج بنفسك».

«انتظري ساساعدك، سوف اساعدك على تحضير مربى المشمش».

«اني كبيرة كفاية لاحسن التصرف بمفردي، لا اريد ان اضيع من وقتك».

«اعلم انك كبيرة كفاية، اذا سمحت لي بمساعدتك قد تسمحين لي بتذوق الكورنيسون الذي تصنعينه».

«انا موافقة».

«حسناً، انت المعلمة الآن. من اين علي ان ابدأ».

اعطته مريولاً ربطه على خصره اصبح منظره مضحكاً.

«ما بك؟».

«لا ادري، اعتقد انه... ربما بسبب اللون؟».

«انه زهري اللون... عديني ان لا تتفوهي بكلمة لهيغو!».

هذه المرة لم تستطع دومنيك ان تخفي ضحكة فرحة.

«هذا المريول لهيغو، اهدته له ماليسا في عيد الميلاد لكنه كان كبيراً جداً. ولهذا السبب اعيره لك. فلا يوجد لدي مريول آخر يناسبك!».

اخذا يتحدثان بمرح خلال عملهما.

«لا اتصور ان احداً يصنع المربى في بيته في ايامنا هذه».

في هوان كل الناس تصنع المربى بنفسها. اني اتأخر دائماً لكن في الخريف كل ربات المنازل يتواجدن في المطبخ مثلي انا اليوم».

«هذا يرجع بلا شك الى هذا المناخ المنعش».

«نعم... فمعظمنا يضع موقداً على الخشب يظل مشتعلاً طيلة النهار».

«هل تشعر بالجوع؟».

«اكاد اموت من الجوع، استطيع ان آكل كليو من... هذا».

«اجلس لأرى ما يوجد في البراد».

اخرجت من الثلاجة زبدة وجمبون وخبز وجبنة. تفحص شارل ذلك وسألها:

«ما هذا؟».

«جبنة الرأس» ردت عليه ضاحكة.

«ايضاً محضر في البيت؟».

www.rewity.com

«نعم هذا رأس خنزير مطبوخ!».

ابعد شارل الطبق.

«لا شكراً، لا مجال لتذوقه».

«تذوقه على الاقل! انه لذيذ!» اصرت دومنيك وقدمت له قطعة.

«اذا دهنته بالمربى قد استطيع بلعه...».

«هيا، ارجوك...».

استجمع كل شجاعته وتذوق قطعة.

«هم... ليس سيئاً».

«اعتقد انها اعجبتك».

«لذيذة جداً، كيف تحضرينها؟».

«سهل للغاية، يكفي ان تترك رأس الخنزير يغلي حتى يقع اللحم عن العظم ثم نقطعه نضعه في ماكنة اللحمة ثم...».

«كفى، وارجوك ان تعفيني من سماع التفاصيل».

«حسناً، حسناً، عليك الآن تذوق الجبنة مع الخبز».

«هل الخبز ايضاً من صنعك؟».

«نعم» اشارت برأسها مزهوة.

«آخر مرة تذوقت فيها خبز منزلي كان في... لا اذكر انك تدهشيني آنسة ميكلفر... كورنيشون ومربى وجبنة وخبز... كل ذلك من صنع يديك!».

«اوه، لم ترى كل شيء. يكفي هذا اليوم!».

حضرت القهوة وانتقلا الى الصالون اضاءت النور بينما تقدم شارل نحو المدفأة حيث وجد صورة لآل ميكلفر

اخذت قبل الحادث بفترة قصيرة. اطلقت دومنيك تنهيدة لم يكن شارل يعرف شيئاً عن مأساتهم، وترددت في اخباره.

التفت شارل نحوها فوجدها جالسة ويظهر عليها الشحوب. عاجلا ام آجلا سيسألها لماذا تعيلين اخويك لوحدك؟ مهما كان الشخص مؤدبا ولطيفا يبقى الجواب مؤلماً، توفي ابوها وامها واخوتها ايضاً...

وضع شارل الصورة جانباً قبل ان يجلس على الكنبة.

«هيغو وماليسا اخباراني كل شيء. كل ما استطيع قوله انه مع الوقت ستزول احزانك تدريجياً. انك تتحملين مسؤولية كبيرة...».

جرت دمعة كبير على وجنة الفتاة الشابة. سحب شارل الفنجان من يدها بهدوء. وجف حلقها وماتت الكلمات في شفاهها لقد قالا له كل شيء لم تعتقد يوماً انهما قادران على ذلك.

«متى؟».

«في اليوم الذي حضرت ووجدتهما جالسين مريضين على سجادة الصالون. انتبهت للصورة، فاخبراني كل شيء».

«كنت انت معهما عندما اصطحب اهلك اخوتك الكبار الى مبارة الباسكت بول».

«اسكت!».

اخفت رأسها بين ايديها وتركها شارل تبكي حتى هدأت.

«هل تشعرين بتحسن الآن؟» ثم اخرج منديلاً من جيبه ومسح به دموعها.

«لا . . . لن نتكلم عن الموضوع» وتوجهت نحو المدفأة وضمت الصورة الى صدرها.

«اخاف ان اثير ذكراهم امام هيغو وماليسا. واعتقد اني اذا ما احتفظت بحزني لنفسي اساعدهم على الشفاء. . . ارادا ان يقولا كل شيء! اعتقدت انهما نسيا الامر ولم يعودا يتألمان».

«وضعت رأسها على صدر شارل حيث سمعت دقات قلبه المنتظمة.

كانت الاسابيع الاولى رهيبة. عندما اتذكر كانت عائلتنا سعيدة ومتحدة. امي وابي كانا رائعين. كانا فخورين جداً عندما اعلن وايدو جيوف انتماءهما للأسف لفريق الباسكت».

«انظر الى هيغو وماليسا، انظر، يظهر واضحاً في الصورة ان اسنانهما لم تكتمل بعد».

«وهنا. . . من هذا؟».

«انك تعرفها! هذه انا! يا الهي كم كنت نحيفة».

«وما زلت. . .».

«هذا غير معقول» وجلسا معاً على الصوفا.

«هل تريد المزيد من القهوة، اخشى ان تكون قد بردت».

جذبها واجلسها على ركبته.

«لا شكراً هذا كاف فضلاً عن اني لا اريد ان تتركيني

لتذهبي الى المطبخ، ما زال لدينا الكثير لنتكلم عنه، وطبع قبلة رقيقة على جبهتها.

«عن ماذا؟».

«لنبدأ، احب ان تتركي الاطفال عندي مدة اسبوعين على الاقل».

«اسبوعين!».

«شارل، انا. . . انا لا ادري، هذا كثير سيعتقدان انني تركتهما».

«كل الاطفال يحبون اخذ العطل. سيغيران الجو. . . هذا خير لك ايضاً انهم يعرفان انك تحبيهما بكل قوتك وارجو ان لا تتسرعي وتقدمي اعذراً كهذه».

«اعذاراً؟».

فكرت برهة، هل هي متعلقة بهمااكثر مما هما يتعلقان باختهما الكبرى؟.

«اني لا افهم. . .».

«بلى، لقد فهت، كل الاطفال يودون ان يجربوا ان يعيشوا بعيداً عن منزلهم. عليهم ان يتعلموا حسن التصرف بعيداً عن ذويهم. قد يفكران ان يمضيا السنة القادمة عطلة لكنهم لن يشعرا بالحرية اذا جعلتهما يشعران بالذنب لتركهما لك».

«انك لا تعرف ما هو الشعور بالذنب!».

«اوه، بلى، انت ايضاً تعرفين».

«يحق لهيغو وماليسا ان يذهبا اينما يريدان اني لن امنعهما!».

«هذا غير صحيح!... هذا تريدين مثلاً؟ لقد دعى يوماً هيغو لتمضية نهاية الاسبوع عند صديقه فلم تسمحي له انت بذلك».

«كيف عرفت؟».

«اخبرني هو بذلك».

«هل اخبرك سبب رفضي؟».

«نعم، قال لأنه بلل فراشه ولهذا السبب...».

«اخبرك بذلك؟».

الفصل الثامن

«نعم، لم لا؟ هذا لا يعيب! الكثير من الاطفال بهذا العمر يشكون من ذلك. مع انك معلمة لها حرية التصرف على هواها».

«انا لم امنعه، لكنه رفض الذهاب خوفاً من ان يتكرر ذلك معه عند صديقه، فيعرف الأخير ويخبر زملاءه في المدرسة. مسكين هيغو وضب حقائبه وافرغها ثلاث مرات في لحظة واحدة، كان متردداً فنصحته اخيراً بالبقاء معنا».

«كان عليك ان تنصحيه بالذهاب، لكان استطاع التغلب على خوفه واصبح شجاعاً».

«هذا صحيح ولكني اشفقت عليه. بكل الحالات لم يعاني من هذا الضيق لا تقلق».

«اني اعلم، لقد سبق وقال لي».

www.rewity.com

«لقد طلبا مني ان اسمح لهما بالاقامة في المانوار شهراً كاملاً».

«شهر! الشقيان!».

«نعم شهر... لن يضرهم ذلك! عندما ذكرتهم ان عندهم اختاً كبرى ربما لن توافق على طلبهما، سردا علي كل الحجج الممكنة!».

«انها مؤامرة اذن...».

«ابديا خوفهما من تركك وحيدة في المنزل وطلبا ان تأتي وتقيمي معهما».

«آه! حقاً!».

لم تجرؤ على النظر مباشرة الى وجهه مع احساسها بنظراته الثاقبة الموجهة اليها.

«اتمنى ان تقبلي طلبهما، لا تقلقي لقد اجبتهما ان فكرتهما رائعة وعبقرية».

«ماذا؟... هل تمزح!».

«فكري يا دومنيك» حاول تشجيعها بصوت حنون ثم اضاف:

«الاطفال هناك، وانت تعلمين ان منزلي واسع...».

«يستطيعان العودة الى المنزل» اصرت دومنيك.

«انهما يتحسنان هناك، يومين في هذا المنزل الرطب والبارد ويصابان فوراً بالرشح، وهذا غباء تام...».

«لقد سبق وتحملا الرطوبة والبرد قبل ان يذهبا لعندك!».

«غلط! لقد سبق وصرحت ان هيغو اصيب في الشتاء

بالشعبة الصدرية».

«تعقلي واذهبي معي هذه الليلة الى المانوار...!».

لم تستطيع دومنيك سوى الرفض بهزة من رأسها.

«لماذا؟».

«ارى... انك تفضلين فمنزلك الصغير على المانوار؟» كانت هذه اللحظة كافية لتثير غضب دومنيك.

«لم اعد طفلة تضع امامها الحلوى لتخضع لرغباتك!».

«انك لا تدرين ماذا تقولين....».

«ليس من الصعب على احد معرفة كيف استطعت كسب صداقة ماليسا وهيغو بسرعة، ليس هناك من طفل في العالم يستطيع ان يقف في وجه مغرياتك. يشعرون انهم في ديزني لاند. انا لم اعد العب في الالعاب منذ عدة سنوات وليس لي الرغبة في زيارة ديزني لاند. اعلم ان لديك الكثير لتقدمه لي، لكني احب الواقع وليس الخيال».

هزها شارل بكتفيها بقوة.

«غبية صغيرة! انك تخافين من تمضية شهر في المانوار معي، هذا كل شيء! لماذا لا تسلمي بذلك؟ كوني صادقة مع نفسك».

«خ... خائفة؟ لا تكن غبياً مما اخاف؟».

«لا تعرفي مم؟».

«في هذه الحالة سيكون هناك وقت لاشرح لك...» اكتشفت متأخرة نواياه. ماتت صرخة في حنجرتها عندما ضمها الى صدره... حاولت التملص منه لكن بدون جدوى، كل مقاومة كانت مستحيلة بل خطر لأنه كان

ممسكاً بها بقوة قاطعاً انفاسها.

«آه... اخيراً بدأت تفهمين».

اصبح اكثر لطفاً ورغماً عنها شعرت انها تذوب معه. لم تعد ضحيته بل عبدة له بارادتها.

ضمت شارل واضعة يديها حول عنقه وارتمت بنشوة معه على الكنبة، تاركة شفتيه تشبع جبينها ووجنتيها، عانقها وامطرها قبلاً.

«يا الهي! كم انت جميلة...» كانت تصرفاته حنونة، حساسة جعلت دومنيك تطلق تنهيدة نشوة وتلذذ، الى ان بدأ يفتح عروة فستانها... التفتت فجأة فرأت صورة والديها على المدفئة، فجلست على الارض منهكة شاعرة بالخجل، فدفعته عنها.

«توقف! من اجل السماء توقف ارجوك!».

«ماذا اصابك الآن؟».

شبكت يديها على صدرها العاري. اخذت ترتجف من البرد! لم تشعر بحياتها بهكذا اسى!.

بجهد فائق استطاع شارل ان يقاوم رغبته. تراجعت دومنيك خطوة او اثنتين الى الخلف، كانت تائهة خائبة لا تجرؤ على لمّ ثيابها عن الارض. تفحصها شارل بسخرية.

«هيا ارتدي ثيابك، امرها بلهجة جافة ومتوعدة. لو كنت مكانك لكنت امتنعت عن هكذا تصرف في المستقبل والا استغل اصدقاؤك هذا».

«ليس عندي اصدقاء».

«هذا لا يدهشني ابداً».

فنهض ببطء، واضعاً قميصه عليه، شاداً على حزام بنطلونه.

«هيا ارتدي ثيابك! لا تنظري الي هكذا!» كررها بقسوة.

«انا لا اراقبك!».

«اذن ماذا تنتظرين تحركي؟ لا تخدعي نفسك يا دومنيك. انت ترغبين بي كما انا ارغبك».

«لا! انت من اجبرني علي...».

«في البدء ربما... قليلاً لكن لاحقاً.. لا تخافي علي ان اكون مجنوناً لأحاول اغراءك».

«الامر ليس كذلك!».

«بالطبع لا».

دار على عقبيه واختفى في المطبخ. ارادت دومنيك ان تناديه... لكنها عدلت عندما سمعت صوت اغلاق الباب. توجهت نحو المدفأة وأخذت صورة عائلتها بين يديها وجهه امها يبتسم لها ظاهراً لها الطيبة التفهم والحنان.

«آه، يا امي، لو انك هنا الآن! كم اود التحدث معك! احبه يا امي، احبه لكني لا اعرف كيف اقول او اظهر له ذلك».

عندما توقفت عن مناجاة امها كانت عيناها مليئتان بالدموع.

تفكيرها بشارل المستمر لم يدع لها مجالاً للنوم. واسترجعت كل كلماته، كل حركاته... كل قبلاته! كانت تود المزيد كانت تريد تحسس حرارة ذراعيه حول

جسمها!.

تقلبت مئة مرة في فراشها غير قادرة على النوم، وعندما بزغ الصباح وصاح الديك اخذت غفوة بسيطة. وعندما استيقظت اضطرت ان تواجه الحقيقة. انها مغرمة برجل لا يريد منها سوى مغامرة عابرة...

فكرت انها استسلمت لاغراءات لا تطاق والاصعب من ذلك اذا اخبر الاطفال وحنا وماريا وسكان القرية... لن يتردد شارل في اساءة سمعتها اذا كان له غرض في ذلك. حاولت ان تلهي نفسها بشغل البيت، رتبت الغرف، مسحت الارض غسلت الغسيل وشارل لا يفارق خيالها، تتكلم مع نفسها محاولة فهم حقيقة ما جرى الليلة السابقة. هل كل العاشقين لهم نفس احاسيسها، لو لم تكن تحب بقوة، لكانت استطاعت ان تجرب... ولكان شارل عشيقاً رائعاً.

ازدادت دقات قلبها وجرى الدم ملتهباً في عروقها. شهر؟ ليس هذا مبتغاها، انها تتمنى ان تبقى العمر كله بقربه، لن تقبل بشهر واحد ابداً.

ليس امامها سوى حل واحد، وهو ان تفهمه ان دومنيك ميكلفر ليست رهناً لاشارته. امرأة آخرى غيرها كانت ستكون سعيدة جداً لتقبل عرضه... استشاطت غيظاً لفكرة ان يكون شارل متأبطاً ذراع امرأة آخرى واذا اصبحت عشيقته؟ هل سيتعلم ان يحبها؟ الكثير من الرجال والنساء يعيشون سوياً قبل الزواج، على الاقل... يكون هناك خطبة، يحتاجون، ويودون ان يعيشوا معاً... شارل لا

يحبها انما يريد استغلالها!.

توجهت نحو الحديقة لتنشر غسيلها، وما ان بدأت حتى سمعت هدير سيارة انه شارل ينزل من السيارة حدقت بالسيارة غير مصدقة، انها سيارتها الصغيرة.

«صباح الخير، انك الآن امام سيارة جديدة!» قال بفخر.

«كيف اخرجتها من الكاراج؟» سألته الفتاة.

جلست خلف المقود وادارت المفتاح.

«بلا سخافات، انت تعلم ما اقصد، كنت انوي ان اذهب بنفسي لاستلامها».

«متى؟».

«عندما يتسنى لي وقت لذلك».

«انها جاهزة، منذ عدة ايام والميكانيكي لم يكن بنيته ان تبقى عنده لأجل غير مسمى».

امسكت دومنيك ببنطلون وملقط الغسيل في فمها.

«اني اعلم لكن... في الحقيقة فضلت ان انتظر قليلاً».

«لماذا؟ انت بحاجة لها لتذهبي الى عملك».

«هذا صحيح، ولكني كنت بحاجة لمبلغ من المال... في الوقت الذي لا املك منه شيئاً. كنت سادفع هذا الاسبوع واطلب منهم تقسيط المبلغ علي عدة دفعات. الآن اصبحت مضطرة ان ادفع المبلغ كاملاً».

«لا تقلقي، لقد دفعت لهم الحساب».

«ماذا؟... دفعت فاتورتي؟».

«نعم» اجابها.

لم تستطع سوى ان تضربه بقبضة يدها على صدره.

«كيف تجرأت! سيجد كل السكان سعادة في التحدث عنا، اولاً تأخذ هيغو وماليسا عندك في المانوار ثم تدفع كل ديوني...!».

«هل هذا ما يزعجك؟».

«بالطبع، نحن نعيش هنا. لا نتحمل ان يشار الينا، بالاصابع عند هذابنا وأيابنا. وبالطبع انت غير مهتم لذلك!».

«هذا صحيح. لأنك تأخرت في لفت انتباهي لذلك».

«اني مدرسة وعلي ان احافظ على مظهري وسمعتي لأكون بمستوى المسؤولية».

الفصل التاسع

رمقها شارل ثم قست نظراته، ما الداعي لغضبه؟ عليها هي ان تغضب منه وليس هو...!.

«المهم بالنسبة لك المحافظة على سمعتك لا السير بأمان؟».

ماذا يقصد الآن؟.

«بالطبع لا! لا تقل لي اني لم اقل لك!».

«نعم هذا هو الموضوع، كيف تقودين سيارة بهكذا حالة؟».

«وبرأيك، لماذا وضعتها في الكاراج؟ او ليس لتصليحها؟».

«لقد رأيت بطاقة الميكانيك واعلمني انك رفضت ان تتبعي نصائحه».

www.rewity.com

«اعطني مثلاً محدداً، ارجوك».

«من جهة، الدواليب مهترئة، ومن جهة آخرى الفرامل معطلة».

احمرت من الخجل.

«اعترف اني تجاهلت بعض التفاصيل لكن...».

«بل اهملت كل شيء، يا الهي ساعدني لأستعيد صوابي! هذه الفتاة مجنونة. انها اعطال كبيرة وانت لم تهتمي!».

«الدواليب تقريباً جديدة».

دافعت عن نفسها متجهة نحو السيارة ثم اضافت:

«انظر اليهم عن قريب! انهم بحالة جيدة!».

«انهم جدد، غبية صغيرة! لقد دفعت ثلاثمئة دولار...».

«آه، حقاً!... ولماذا؟».

«انجديني ايتها العذراء، يبدو ان عمرهم خمس سنوات!».

«هذا خطأ، لقد اشترتهم منذ ستة اشهر».

«لقد اشرينهم بالاوكازيون، مضى عليهم وقت طويل منذ ان كانوا جدد».

«كانوا بحالة ممتازة، يستطيعون ان يخدموا على الاقل سنة».

«لا ادري باية اعجوبة استطعت القيادة طيلة هذه المدة».

«هل اخبرك الميكانيكي عن العطل؟».

«نعم، الكربراتور والبوجيه معطلين و...».

«آه، هذا ما كنت اعتقده».

«حقاً؟... ساصطحبك في نزهة لتتأكد ان كل شيء على ما يرام».

«انا آسفة لأنك تتعب نفسك من اجلي. ولا اعرف كيف اشكرك».

«اعتقد انك لن ترفضي اقتراحي».

«اين سنذهب اذن؟» سألته بعصبية ثم اضافت:

«ليس لدي وقت، وعندي عمل كثير لأنجزه وعلي زيارة الاولاد...».

«انهما ليسا هنا الآن... وكل غسيلك قد نشر. بالنسبة للاطفال لا تقلقي فهما سعيدان بمشاهدة الرسوم المتحركة على التلفزيون».

استخدم كل سحره لأقناعها فشعرت دومنيك بالضعف رغماً عنها.

«حسناً... لكن نزهة قصيرة. اين سنذهب؟».

«فكرت بدوفر... سنتغدى هناك».

«كانت الفكرة مدهشة».

«كما تريد لكن اذا اردت ان نخرج للغداء علي تغيير ملابسي».

«انت جميلة هكذا» اكد لها بنظرة اعجاب.

«سأحضر كنزتي».

حملت سلة الغسيل وركضت الى الداخل، ارتدت كنزتها وسرحت شعرها ووضعت قليلاً من الاحمر على

شفاهها. تأملت نفسها برضى لقد بدت بصحة جيدة سعيدة لقد دعيت الى الغداء.

وضعت معطفها على كتفيها ولحقت به الى السيارة. وكان شارل يجلس على ركبتيه ويداعب الكلب بينغو، وعندما ركبا في السيارة اخذ الكلب بالعواء.

«اتريدين اصطحابه معنا؟».

«لا، انه يتعب في السيارة».

وعندما انطلق شارل بالسيارة اخذ بينغو يعوي ثم جلس على درجة السلم الأخيرة ووضع قدمه على عينيه.

«انظر، شارل كما هو محتال! ان هيغو هو الذي علمه ذلك!» فابتسم شارل. وتابع طريقه. وكانت الطريق ضيقة وتؤدي الى محلات قديمة. فتوقف شارل واشار اليها الى محل اشترى منه البرات.

«البرات!» سألته بدهشة ثم ضحكت واضافت:

«وهل تستعملها؟».

«نعم، لصناعة الزبدة. وفكرت في انك لن ترفضي تقديم خدمة لي وستصنعين لي المربى».

«ان المربى الذي اصنعه طيب جداً. وهيغو وماليسا يعجبهم كثيراً. ان الطقس جميل في الربيع، ونعتقد اننا في انكلترا».

«لم اذهب من قبل الى اوروبا».

«هل توجد حقول ازهار هناك؟».

«نعم» اجابته بحماس ثم اضافت:

«انها حقول شاسعة» واخذت تصف له الطبيعة بدقة،

كانا قد خرجا من المدينة، وفي الطريق توقف شارل امام بستان واسع.

«هل هذا هو الفوجار؟».

«نعم، انه نادر، ويشبه نباتات نيوزيلاندا. واكثر ما يوجد في الغرب، وفي الغابات وجبال الهاركز».

«يبدو انك تحبين هذا المكان».

«نعم، انظر الى السماء كم هي جميلة».

وشعرت بان شارل يتأملها. فادارت رأسها كي لا تخونها مشاعرها. اوقف شارل السيارة امام اوتيل دوفر، وامسك يدها.

«هل سبق لك وشممت رائحة طير الفواف المشوي؟» سألته دومنيك.

«لا» ثم ترك يدها ووضع يده على كتفها. كيف هي.

«لذيذة جداً، وتبقى رائحتها في البيت عدة اسابيع».

«وطعمها؟».

«ليس لذيذاً ابداً، فانا والاولاد لم نجرء على لمسه. ولم نحبه ما رأيك لو تتذوقه انت. فقد يعجبك».

انحنى قليلاً.

«لا، شكراً، فانا اصدقك».

«اتحب صدف سانت جاك».

«نعم».

«هل تعلم ان هذا المصب يعتبر اهم مصدر لهذا الصدف؟».

«آه، حقاً».

وقبلها شارل قبلة حارة وطويلة كما في الحلم، استسلمت دومنيك لهذه الرعاية ولهذا الحنان والعطف التي يحيطها به شارل. دفعها بعد لحظة طويلة قائلاً:

«اني آسف يا دومنيك. لا اريد ان يتكرر ما حدث البارحة مساء».

لم تستطع سوى هز رأسها غير قادرة على الكلام.

«انا ايضاً آسفة».

هل هي كذلك؟ لا... لكن هل يستطيع شارل كشف كذبها!.

«الن نأكل!».

في الواقع هل ستتمتع بغدائها مع رفيق غامض مثله؟ تأملها شارل مبتسماً، شعره يتطاير مع الهواء، وجبينه بلون الزهر، صدره يرتفع بايقاع بطيء.

«بلى سنتغدى حالما يأتي النادل».

اصطحبها شارل الى ركن منفرد حيث كان جميع الحاضرون ينظرون اليهما، احست دومنيك بالفخر لكونها مع شارل. شارل كان سحره واناقته لا تقاومان.

لائحة الطعام موجودة على الطاولة تحتوي على اطباق شهية. اخذت دومنيك اللائحة لتختار ولكن في الحقيقة لتتهرب من نظرات شارل.

«اذن... ماذا تتناولين؟».

«لست ادري... من الصعب الاختيار» دون ان ترفع نظرها عن اللائحة.

«وانت ماذا ستطلب؟».

لا يوجد سوى ثلاثة اقتراحات، وليس من الصعب اختيار واحد منها».

«اف... هذا صحيح».

«انت تأخذ سلطة الخضار وانا طبق صدف، سانت جاك».

«ونتقاسم طبق ملك نبتون، اذا احببت».

«لا مانع لدي».

كان الطعام لذيذاً، آكلا بشهية فائقة. وشربا النبيذ الذي اضفى على المكان جواً حميماً لم يتكلما كثيراً خلال عودتهما، لأنه ظهر على شارل مشغول حافظت دومنيك على صمتها حتى وصولهما الى طريق المانوار.

«سانزل هنا، بالكاد سيارتك تمشي. واذا لم ارك قبل الغد، اتبعي نصائحي وقودي بشكل متعقل اثناء ذهابك الى العمل».

انتظرت حتى ترجل من السيارة لتجلس وراء المقود احست بالخيبة لأنها كانت تنتظر ان يعزمها لزيارة المانوار لرؤية هيغو وماليسا. لكن كان يبدو انه مستعجل للتخلص منها.

«هل انت اكيد انك تريد ان تكمل الطريق سيراً على الاقدام؟ استطيع ايصالك».

«لا، الطريق ما زالت مليئة بالثلوج، وستذوب ببطء لأن اغصان شجر الصنوبر يحجب اشعة الشمس. وستخاطرين بذهابك».

آه... شكراً على كل شيء، على السيارة والغداء...

وكل شيء».

«هذا من دواعي سروري» اكد لها مبتسماً قبل ذهابه.

راقبته دومنيك وهو يبتعد مطلقة تنهيدة عميقة متجهة نحو الجهة المقابلة مفكرة بالتغير الذي اصاب تصرفات شارل. لم يكن عندها عذر لترفض زيارة الاولاد، بلا شك ففكر كما قالت له انها مشغولة ومتعبة وما زال لديها اعمالاً غير منتهية. عند رجوعها الى المنزل لاحظت ان غسيلها النظيف. الذي حضرته لتأخذه لأخويها قد نشف هل تذهب الآن لتعطيه لهما؟ فكرة صائبة! وفضلت ان تأخذ لشارل بعض الخضار من الحديقة... لقد وعدته بالجزر.

الفصل العاشر

بدلت المعطف الذي احضره لهيغو... حضرت الثياب وسلة الخضار واجتازت السهول مع بينغو الكلب.

وبدهشة كبيرة رأت رجل الثلج ما زال قائماً ولكن القبعة والشال مأخوذان عنه، نظرت اليه بمودة واخذت تهرول باتجاه المانوار. طرقت على الباب عدة مرات وقبل ان يأتيها الرد ويفتح شارل الباب سمعت صوتاً نسائياً من الداخل.

«من هذا يا عزيزي؟».

التفت شارل باسماً الى المجهولة التي تطوقه بذراعيها ثم نظر مجدداً الى دومنيك التي كانت مأخوذة من الدهشة. صعقها منظرها الساحر، عينان زرقاوتان، شعر اشقر مزين بقبعة رجل الثلج الشال المقلم ايضاً محيط بيدها، من اول نظرة تدرك انها مناسبة ولائقة بشارل هاليسترا.

www.rewity.com

لم يطل الصمت اكثر من ربع ثانية احستها دومنيك انه دهر... الى ان اطلقت الشقراء الجميلة ضحكة سائلة عن الزائرة لتتشرف بمعرفتها... عندها ادركت دومنيك كم تبدو مضحكة مع سلة الجزر التي تحملها.

«دومنيك ميكلفر... دومنيك ميكلفر فتاة الجزر» اجاب شارل.

عرفها شارل كصديقة من سيدني، اسمها شيري وست.

«تشرفنا» قالت وقد احمر وجهها من الخجل.

كانت شيري امرأة حقاً، ملتصقة بشارل ممسكة بيده، لم تنفك دومنيك تتساءل عن العلاقة التي تربطهما.

كانت شيري رائعة الجمال، مرتدية تايور من القطن الازرق الفاتح يتناسب كلياً مع لون عينيها. وجهها ناعم مزين بلمسات من الماكياج المتقن. تظهر وكأنها نجمة مجلة عالمية.

كان شارل قد خلع بنطلونه ومعطفه، مرتدياً بنطلوناً رمادي اللون مع قميص ازرق. شعرت دومنيك وكأنها مبتذلة بالمقارنة مع الشخصين الواقفين امامها.

«لنرى ما معك هنا؟» سألها بعد ان دعاها للدخول. اخذ السلة من يدها فشعرت بالحرج...

«آوه! لا شيء مهم فيها».

لماذا عليها البقاء، بالطبع خضار آل ميكلفر لن تثير اهتمامهم، تفحص شارل محتويات السلة، جزر، لفت... ثم التفت نحو شيري.

«هل تحبين اللفت عزيزتي شيري».

«اوه، شارل انت تعرف ذوقي بالخضار، انت ايضاً لا تحبهم اذا كانت ذاكرتي لا تخونني».

ودت دومنيك لو ترد عليها ولكنها ترددت... لماذا حضرت؟ لماذا لم تعد ادراجها الى بيتها حيث الدفىء والهدوء؟ على الاقل عرفت الآن لماذا كان شارل، على عجلة من امره ولماذا اصر على ان ينزل عند مفترق طريق المانوار!.

«ربما يتسنى لي ان اتذوقهم» قال شارل هازئاً ثم اضاف:

«ساحمل هذا الى المطبخ» قال ذلك بلهجة الحاكم.

«اوه، لا... دعني آخذهم عنك واسرعت نحو سلتها، ولكن شارل كان صعب الاقناع...

«ادخلي مع شيري الى الصالون وتعرفا ببعضكما البعض» ما ان اختفى شارل حتى اسرعت شيري بالقول لها:

«اذا كنت تفضلين العودة الى منزلك ساشرح لشارل انك كنت مضطرة للرحيل، بكل الحالات لم يكن بانتظارك».

«كنت اعلم ذلك، لكن لدي بعض الاغراض لأعطيها لأخي واختي».

كانت شيري قد علمت لتوها بوجود هيغو وماليسا عند شارل.

«لقد التقيت بهما».

تخلصت من القبعة والشال برميهما على الكنبة. وتوجهنا

نحو الصالون حيث باشرت شيري باسدال الستائر على النوافذ.

«لا اتحمل اشعة الشمس في عيني وتوجهت لتأخذ كأسها الموضوع على صينية من فضة.

جلست على الكنبة غير عابئة بدومنيك حتى انها لم تطلب منها الجلوس او تقدم لها شيئاً لتشربه، لكن دومنيك لم تهتم فهي لم تكن تشعر بالظمأ... اسندت ظهرها على المدفأة...

«ما زال باكراً على اشعال المدفأة» تابعت شيري.

«لقد حضرها الآن شارل. اذا اننا نحب ان نجهز قهوتنا ونحن نرقب لهيبها، وانت الا تفضلين ذلك؟».

«اوه، بلى... انه رومنطيقي للغاية اليس كذلك؟» تفحصتها شيري بدقة وكأنها تبحث عن تفسير معنى هذه الملاحظة.

«اعتقد انه عندك صديق صغير؟» هزت دومنيك رأسها.

«ليس في هذه الفترة، لا».

«ما رأيك بشارل؟».

«بالكاد أعرفه».

«انك تعرفينة كفاية لتسلميه حضانة الاولاد».

«نعم... من بين كل معارفي كان شارل الاكفأ لتحمل هذه المسؤولية».

«والاكثر ثراء ايضاً؟».

«ماذا تعنين؟».

«ها، هيا يا صغيرتي، لا تلعبي معي دور البريئة لعبتك

واضحة، وسيكتشف شارل هذا عاجلاً ام آجلاً ان لم يكن قد اكتشفها بعد».

«لا ادري عما تتكلمي».

«بلى. انك تستغلين هذين الشقيين لتتقربي من شارل!».

«ماذا؟».

«الذي يدهشني اكثر ان فأرة رمادية مثلك استطاعت ان تلفت انتباه رجل مثل شارل! بصراحة عزيزتي هل هذا جدي؟ انك لست في مكانك هنا!».

نظرت اليها دومنيك غاضبة.

«ألاني في مكانك؟».

نظرت اليها شيري بفتور.

«انظري بنفسك! لا مجال للمقارنه بيننا!».

«تقارنين؟».

انتفضت الفتاتان، عندما ظهر شارل على الباب حاملاً صينية عليها مقبلات متقدماً بخطى ثابتة وهادئة.

تبدلت شيري باعجوبة واذا لم تكن دومنيك ضحية لوقاحتها ستستمتع بكل تأكيد بهذا التغيير المفاجيء.

ثم اخفت مخالبها مثل قطة متوحشة. واطلقت صرخة فرح عندما وضع طبق الجبن.

«اوه، شارل... غودا... هذا ما افضله! قدم لها شارل قطعة مبتسماً.

«تريدين قطعة آخرى؟» سألها شارل عندما التهمتها بشهية.

www.rewity.com

«اوه، نعم من فضلك!».

انحنى ليخدمها، حين وجهت شيري لدومنيك ابتسامة انتصار، وكأنها تقول لها.

«هل ترين؟ لن يهتم بك شارل عندما اكون انا موجودة؟».

ثم التفت شارل نحو دومنيك سائلاً اياها:

«ماذا تريدين؟».

«لا شيء شكراً».

«هل انت مصرة؟».

«اعتقد انك تفضلين الشدار».

«لا شكراً».

ثم انتبه انها لا تحمل كأساً.

«شيري الم تقدمي كأس نبيذ لدومنيك؟» اصبحت لهجته فجأة قاسية.

«لقد فعلت يا عزيزي، لقد سألتها عدة مرات ولكنها رفضت، انت تعرف الفتيات الصغيرات يحافظون دائماً على نحافتهم» وكانت شيري تكذب في قولها.

ضحكة شارل لم تخفف من غضب دومنيك، تأملها شارل ببطء، كانت ترتجف من الغيظ.

عاد وسألها مرة آخرى اذا كانت تود شيئاً.

«لا، شكراً، سآخذ الجبنة والنبيذ مرة آخرى، لقد تأخرت ولم ار الاولاد بعد، شكراً على كل شيء! لقد تشرفت بمعرفتك شيري، تشرفت...» كررتها!.

«ايه! هكذا سريعاً!» ناداها شارل ممسكاً بيدها تريد حنا

ان تشكرك على الخضار وتقترح عليك ان تبقي معنا على العشاء، نظر الى ساعته.

«سيكون العشاء جاهزاً خلال ساعة تستطيعين ان تمضيها مع هيغو وماليسا».

لم يتسنى لدومنيك الاجابة، عندما قاطعتها شيري باطلاقها تنهيدة متضايقة، «لو كنت اعلم ان حنا تستضيف طفلين وتدعو ثالثة لما كنت حضرت لرؤيتك يا شارل». لا اعرف ما نوع هذه الامرأة.

«لا تقلقي تستطيع حنا ان تهتم بكل شيء».

«اعلم ان موقفي مضحك لكن ان تطعم كل الناس عند حضوري... لقد اسأت اختيار موعد حضوري».

«انت دائماً على الرحب والسعة» ثم اتجه نحو دومنيك ليأخذ ردها على دعوته لها.

«لا شكراً، شيري معها حق، هذا ليس تصرفاً صائباً من حنا» تبعها شارل الى المدخل.

«ما الذي جرى؟ انت تعرفين ان حنا ستكون سعيدة باستقبالك».

حنا ربما، لكن شيري... هل شارل اعمى؟ ام ببساطة مغرم؟.

«اني مشغولة... اوراق للتصحيح... اعمال غير منجزة...».

«انظري الي يا دومنيك!».

رفعت رأسها دون ان تشعر بالدمعة الكبيرة التي انهمرت على خدها.

«ما بك؟ لماذا تبكين؟».

جفف دموعها بيده محاولاً موآساتها.

«اني لا ابكي» ثم حاولت الابتعاد.

قطب شارل حاجبيه واوقفها.

«عندك مشكلة، واذا اخفيتها عني سأ...».

«شارل!» قاطعته شيري «شارل! ماذا تفعل، اني انتظرك».

الفصل الحادي عشر

ظهرت شيري عند باب الصالون، وتأملتها بنظرة غنج كطفلة مدللة، جعلت دومنيك تسأل نفسها عن الوقت الذي امضته شيري في التمرن على هكذا وقفة.

«سآتي بعد لحظة، هيا اذهبي واسكبي لنفسك كأس نبيذ هيا...!».

«كفى شارل» اصرت شيري وهي تضع يدها على صدر شارل «اصبح الجو بارداً وأفضل ان تشعل المدفأة».

«في الحال!» زمجر شارل.

فضلت شيري ان تطيعه هذه المرة، واختفت بعد ان نظرت الى دومنيك نظرة ناقمة.

«اتمنى ان لا تكون شيري السبب في انزعاجك».

«لا، ابداً» كذبت الفتاة.

www.rewity.com مروية

«هكذا افضل لاني عندما اراك سعيدة اجدك افضل صديقة في العالم!».

كانت دومنيك تشك في ذلك، لكنها فضلت ان توقف هذه المجاملة.

«انضم اليها الآن، عندما تغيب الشمس يبرد الجو، وسأصعد انا لرؤية هيغو وماليسا».

«سأصحبك».

«لا!».

امسكها بيدها، رجته ان يتركها.

«لا، ارجوك لم اجلس معهما وحدي منذ فترة وهذه فرصة مناسبة».

«كما تريدين، لقد فهمت...».

ود لو يمسك وجهها بين يديه لكنه عدل عن ذلك ووضع يديه في جيب بنطلونه وتوجه نحو الصالون.

تجمدت دومنيك مكانها.

وصل الى سمعها صوت شارل المصحوب مع قهقهات رفيقته الساحرة.

اتجهت نحو البهو لتلتقط حقيبة الثياب، لاحظت الشال المقلم... ترى هل اخبرها شارل انه وضعه مع دومنيك «الفأرة الرمادية الصغيرة».

قبل ان تصعد، دخلت المطبخ لتعلم حنا انها لن تبقى للعشاء، استقبلتها حنا بابتسامة كبيرة مع انها كانت مشغولة كثيراً.

«كان احضارك الخضار لطفاً كبيراً منك فليس عندنا

صديقة بعد.

هذا الحديث شد من عزيمة الفتاة التي أسفت لانها لا تستطيع ان تطيل الزيارة، كانت تود ان تبقى في هذا المطبخ الواسع المجهز بأحدث الآلات، والتي تعبق فيه روائح الطعام الذكي.

اطلقت تنهيدة عندما تذكرت كيف ستتقاسم العشاء وحيدة مع الكلب بينغو.

«لن اتعشى هنا يا حنا».

«لماذا؟» سألتها مدبرة المنزل، «تبدين شاحبة، وجبة جيدة تعيد لك حيويتك!».

«هذا لذيذ! لحم بقر؟»..

«نعم لحم بقر مع بطاطا وخطار طازجة...».

«يا الهي! اتمنى ان لا تضعي معهم اللفت شارل... اريد ان اقول ان السيد لا يحبهم».

«آه، حقاً؟ تصوري انه اصر علي ان احضرهم هذا المساء هذا غريب اليس كذلك؟».

«وسأقدم بعد العشاء تارت بالفريز... بصراحة يا صغيرتي هل تعتقدين انك ستتغذين هكذا في بيتك؟».

«كلا...».

«انا لا اعرف كيف انتم الشباب تبقون على قيد الحياة بهكذا نمط من الغذاء».

التفتت نحو دومنيك التي كانت تنظر الى مزهرية فيها فوجير موضوعة على الطاولة.

«هل تحسين بألم في رأسك؟».

«سأكون بخير يا حنا، اني معجبة بهذه النبتة والمزهرية جميلة جداً».

«لقد نسقتها بعناية» قالت حنا مفتخرة بصنعها ودخلت عندها ماريا.

«مساء الخير آنسة دومنيك، لم اكن اعلم انك هنا! تريدين ان تري هيغو ومالسيا؟».

«نعم في الحال، كيف تصرفا اليوم؟».

«انهما رائعين! لكنهما جائعين، لقد جئت لاحضر لهما العشاء».

«بما اني هنا، سأساعدك!».

كانتْ حنا قد حضرت لهم شرائح اللحمة مع الخضار.

«سيسر هيغو كثيراً عندما يرى هذه المرقة اللذيذة» قالت دومنيك ضاحكة.

«ماذا تفعلين هنا؟».

انتفضت دومنيك عندما جاءها شارل بخطوتين اصبح امامها اخذ من يدها ملعقة الخشب واعطاها لحنا.

«تستطيع حنا الاهتمام بهذا بدون مساعدتك، لقد كذبت علي عندما قلت انك لن تستطيعي العيش دقيقة واحدة اذا لم تري اخويك فوراً».

احمرت دومنيك، كيف يتجرأ شارل بمخاطبتها بمثل هذه الوقاحة امام حنا وماريا؟.

«رفضت الآنسة دومنيك ان تتعشى مع الآنسة وست ومعي، قد تقبل ان تتناول عشائها مع هيغو ومالسيا، اضيفي يا ماريا صحناً آخر».

وجذبها بقوة الى الرواق، وقبل ان يصعدا الدرج استطاعت دومنيك التخلص منه.

«لا يحق لك ان تكلمني بهذه اللهجة، فأنا لدي احاسيس ككل الناس».

«احياناً اشك بذلك» اجابها شارل.

لقد طفح الكيل، ورفعت يدها لتصفعه لكنه امسك يدها بسرعة.

«اني احذرك لا تعيدي الكرة مرة ثانية، فأنا لن اتردد في رد الصفعة لك».

«كان يجب ان اكون حذرة في البداية، انك تتسلى بجرح مشاعر الآخرين وخاصة انا».

«انت لا تفهمين».

لماذا كل هذا الغضب؟ تساءلت دومنيك، ماذا فعلت؟ ما الذي دفعه لمعاملتها هكذا؟ شيري! نعم، انها هي، ماذا قالت له عنها؟ لقد وجدت بدون شك وسيلة ضدها!.

ثم دفعها بقوة على الدرج فارتجفت كل اعضائها ثم امسكها واجبرها للنظر في عيونه مباشرة، وكانت نظراته مليئة بالاحتقار يجب ان تدافع عن نفسها، لكنها لا يترك لها فرصة.

«انت تزعجينني، تتظاهرين بالبراءة، لكن هذا ليس سوى قناعاً، ولكنك لست سوى انتهازية تترصدين الفرصة للحصول على ثروة!».

هكذا اذن! لقد توقعت ذلك، ان شيري لم تضيع وقتها، انها مبتعجلة لغرز مخالبها...

هزت دومنيك رأسها، لكن شارل هزها بقوة.

«اعترفي! اعترفي والا . . .» ووضع يديه حول عنقها غاضباً.

تراجعت دومنيك خطوة للوراء.

«انت مجنون» واسندت نفسها على درابزين الدرج اين شجاعتها؟.

«بامكانك ان تظن بي ما يحلو لك، هذا لا يهمني، ولكني انصحك بان تستعلم جيداً قبل اصدار حكمك، في هذا البلد يحق حتى للمذنبين بالدفاع عن انفسهم».

وركضت مسرعة على الدرج.

عندما عادت الى بيتها، بالكاد تذكرت ما جرى اثناء زيارتها لاخويها، كانت قد وجدت صعوبة في مواجهتهما، وحاولت ان تخفي عنهما ما حصل، وسالاها عدة مرات عن ماذا يشغلها، فطمئنتهما، وقالت بانها متعبة فقط من كثرة الاعمال.

دخلت حنا وماري ونظرتا اليها بعطف، فاحست بانهما سمعها ما دار بينها وبين شارل من حديث.

كانت ماري تحمل سلة الغسيل التي نسيتها دومنيك في المطبخ وعندما اخرجت دومنيك الثياب منها، اعترض عليها هيغو وماليسا وصرخا.

«نحن لسنا بحاجة الى هذه الملابس، فلدينا هنا ملابس جديدة وجميلة.

انهما على حق، فان الخزانة مليئة بالملابس الرائعة، البناطلين والكنزات، الملابس الداخلية، والبيجامات،

شارل ليس بخيلاً اذن.

«انظري» قال لها هيغو بحماس، «حتى انه يوجد عندنا تلفزيون ملون اشتراه لنا شارل».

عندما تركت ماري الغرفة ارتمت دومينيك على الكنبة، لم تذق الطعام، في حين هيغو وماليسا التهماه بنهم.

انها لا تتذكر الآن سوى مقطع صغير من محادثتهما.

«هل رأيت صديقة شارل؟» سألتها ماليسا.

«نعم».

«انها جميلة اليس كذلك؟».

«نعم جميلة جداً».

«هيغو يجدها بشعة».

التفتت دومنيك نحو اخيها الذي كان مأخوذاً بالنظر الى التلفزيون لا يظهر عليه الاهتمام بحديثهما.

«يقول هيغو ان شيري متألقة دائماً».

«هذا صحيح، ليست مثلك! انت تبدين دائماً على حقيقتك . . . لكنك غير انيقة دائماً».

عندما عادت الى الواقع راقبت نفسها، هيغو على حق فهي غير انيقة بمعطفها الزهري، وفهمت لماذا نعتتها شيري بالقذرة.

اخذت دوشاً ساخناً وحضرت طعام الكلب وخلدت للنوم دون ان تشعل ناراً، فاخذت ترتجف من البرد تحت غطاءها، واخذتها افكارها عند شارل، ترى ما يفعل مع شيري الآن؟ هل يجلسان قرب المدفأة؟ هل يشربان قهوتهما ويتجاذبان حديثاً حميماً؟ او هل . . . هما في

السرير؟.

انقبض قلبها فجأة وشعرت بالغيرة تسحقها.

لقد علمت مسبقاً انها كانت تشغل نفسها بالتفكير به منذ البدء، وهذه الليلة هي البرهان، قبلاته لها لم يكن لها اي معنى، انه يمرح مع صديقته الآن بكل بساطة، المرأة التي يحبها اسمها شيري وست.

تقلبت في فراشها كثيراً، ماذا عليها ان تفعل الآن؟ هل تعيد الاطفال؟ لا... هذا غباء، انهما بأمان في المانوار، اذ لم يكتمل شفاءهما بعد، واذا عادا ستنتكس صحتهما بسرعة، لقد كان شارل على حق اذا رجعا الآن سيصابان حتماً بالرشح.

الأسبوعان التاليين سيكونان مرهقين، الامتحانات اقتربت، والاهالي يتزاحمون على مقابلة المسؤولين.

اعلمت دومنيك اخويها انها ستكون مشغولة في الاسبوعين القادمين وأنها ستضطر لاهمالهما في هذه الفترة، فهم الطفلان ذلك، لم يكونا مهتمين كثيراً لان شارل وعدهما اذا احسنا سلوكهما ان يمضيا نهاية الاسبوع على الثلج.

اخذت تفكر... ماذا عليها ان تفعل خلال الاسبوعين التي ادعت انها ستكون مشغولة خلالهما؟ ستبدأ العطلة المدرسية... سيكون من الصعب بل من المستحيل تجنب شارل، هل عليها ان تغير سكنها؟ لا... سيكون من الصعب تغيير مدارس الاولاد، وسيتضايقون من ترك اصدقاءهم والبقاء بعيداً عن شارل.

ما أسوأ هذا كله، شيري وست، بدون شك هي من اوحت لشارل بأن آل ميكلفر يسعون وراء ثروته، لكن دومنيك لم تتحرى عن ثروته، انها متعطشة للحب!.

كانت الايام الثلاثة التالية متعبة كما توقعت معظم الاهالي يتسارعون للقائها في ساعات فراغها، وحرصت على ان تأخذ مواعيد لبعض الظهر حتى المساء.

رجعت الى بيتها الساعة الثامنة مساء، عندما فتحت باب مدخل المطبخ وجدت ورقة على الطاولة من شارل.

«اين انت؟ انتظرتك حتى الساعة التاسعة، تعالي للعشاء في المانوار غداً الساعة السادسة مساء بالتحديد... والا لن تلومي الا نفسك! شارل».

كانت تود ان تتصل به حالما قرأت رسالته وبما انه لا يوجد عندها هاتف اتصلت به في الصباح التالي من غرفة المدرسين.

هل كان يعني بطريقته الخاصة انه سامحها صدفة... ام لحسن الحظ اوصل شيري وست الى المكان الذي اتت منه؟ طلبت الرقم وردت شيري على الخط.

«صباح الخير، انا دومنيك، هل استطيع التكلم مع شارل من فضلك؟».

«من المتلكم؟».

«دومنيك؟».

«آه، نعم».

«لماذا تريدين التكلم مع شارل؟».

كانت تود ان تقول لها ان هذا ليس من شأنك، ولكنها

فضلت ان تحتفظ بأدبها.

«اريد ان اقول له كلمة».

«عليك ان تقوليها لي لان شارل مشغول جداً في مكتبه».

الفصل الثاني عشر

ترددت دومنيك فهي لا تثق بشيري.

«لا شيء مهم، سأعاود الاتصال به مرة اخرى».

«هذا لن يفيد، لان شارل مشغول، واعطى امراً محدداً، ان لا يزعجه احداً مهما كانت الاسباب».

«لا بأس هل تتفضلين وتقولين له عندما يحضر للغداء انني لن استطيع تلبية دعوته للعشاء هذا المساء في المانوار؟ لاني لن انتهي من العمل قبل الساعة الثامنة...».

«هل دعاك؟» سألها بتعجب، «اني لا اصدقك!».

«اعتقد ان هذا يزعجك، هل تنقلين له الرسالة من فضلك؟».

«اوه، لا تقلقي سأفعل سريعاً!» وعدتها شيري.

www.rewity.com مروية

اقفلت دومنيك الخط مبتسمة.

«تلقي! تلقي! الشقراء الفاتنة تخاف من الفأرة الرمادية».

صباح السبت، ارتدت ثيابها وجهزت سلة من الخضار واصطحبت بينغو الكلب معها واتجهت نحو المانوار.

كان المكان خالياً، اتجهت نحو المطبخ حيث سمعت فيه ضجة، دقت على الباب لكن احد لم يجب، دفعت الباب بهدوء فجحظت عيناها من منظر المطبخ.

كانت ارض المطبخ وسخة وكأنها لم تنظف منذ زمن، الطاولة مغطاة بالخبز المحروق الطحين محروق في الوعاء، والحليب على النار، والغسالة مليئة بالثياب الوسخة، لكن احداً لم يزعج نفسه بتشغيلها وزهور حنا يابسة على الطاولة.

اقتربت دومنيك وابعدت الحليب عن النار، ورتبت باقة الزهور بعد ان قصت الاغصان اليابسة ووضعتها على النافذة.

ماذا جرى؟ اين حنا؟ وماريا؟ اصغت سمعها جيداً كل شيء هادىء نظرت الى الاثاث فوجدته مغطى بالغبار.

ركضت مسرعة على الدرج نحو الطابق الاول فلم تجد اخويها في غرفتهما، سريرهما غير مرتبان.

نزلت الى البهو عندما سمعت صوت موسيقى فوجدت هيغو وماليسا يجلسان في الصالون الصغير يشاهدان التلفزيون.

«دومنيك! ركضت ماليسا وارتمت بين احضانها «اني

مسرورة للقائك، لقد كنا بانتظارك!».

«نعم» اجاب هيغو الذي انضم الى اخته، نحن بانتظارك منذ البارحة مساء! اين كنت؟».

هدأ روعها بعد ان اطمأنت انهما بخير؟ جذبتهما نحو الكنبة.

«كان عليك ان تحضري مساء البارحة، لقد انتظرناك».

قال هيغو، «انا من حضر العشاء، لحم خنزير!».

«انت؟» صرخت دومنيك مدهوشة وهي تفكر بحالة المطبخ، «اوه لا... هذا ليس معقولاً اني...».

«وأنا حضرت كاتوه بالشوكولا!» قالت ماليسا.

«لكن... اين حنا؟ اين شارل وشيري؟».

«اصيب اخ حنا بحادث، دهسته جرافة» اجابها هيغو.

«اوه، لا هذا فظيع! متى حصل ذلك؟».

«البارحة بعد الظهر، اصطحب شارل حنا وماريا الى المزرعة، وقال انه سيتأخر هناك وانك ستحضرين لتكوني معنا، انتظرناك طويلاً وعندما لم تحضري اكلنا الكاتوه بالشوكولا وذهبنا للنوم!».

«كيف؟ كنتما وحيدان منذ البارحة بعد الظهر؟ هل رافقت شيري شارل؟».

«لا شيري بقيت هنا، اعتقد ذلك،» اجابت ماليسا.

«اني لم افهم جيداً...».

«لم نرها منذ رحيل شارل مع حنا وماريا، قالت لنا اذا شعرنا بالجوع علينا ان نخدم انفسنا وان لا نزعجها».

«آه، حقاً! اين هي الآن برأيك؟».

«بالتأكيد في سريرها! لماذا؟».

«لماذا غضبت عندما علمت اننا حضرنا عشاءنا؟».

«من جهة كان المطبخ كمستودع حقيقي ومن جهة ثانية كنتما ستسببان بحريق في المنزل».

«كنا جائعين، وكان علينا ان نأكل».

«كنتما تستطيعان ان تأكلا جبنة، لا ترويان لي قصصاً».

«لقد قمنا بما علينا!» قالت ماليسا والدموع تملأ عينيها «لقد اتبعنا توصيات حنا المكتوبة على الورقة».

«الورقة؟».

«الكلمة التي تركتها لشيري، لم ترد شيري الاهتمام بنا، لذلك حضرنا اللحمة ووضعناها على النار منذ الساعة الخامسة والخضار الساعة السادسة والنصف ثم المرق... بالضبط كتوصياتها في الرسالة هذا ليس صعباً».

«لقد نسيت الكاتوه يا هيغو» قالت ماليسا «لقد وضعناه في الفرن منذ الساعة الخامسة».

«آه، نعم».

«كنا نريد ان نفاجئك... لم نكن نود ان تحضري وتجدي ان العشاء غير جاهز».

«حسناً، حسناً» قالت دومنيك محاولة تهدئتهما «لقد ادركت ما حدث».

«لكن لماذا لم تحضري؟» سألها هيغو، «لم تخبرينا بعد!».

«لاني كنت مجبرة على البقاء في المدرسة لوقت متأخر، كان عندي مواعيد مع اولياء التلاميذ... اتصلت

بشارل لكنه كان مشغولاً، لذلك طلبت من شيري ان تخبره بعدم استطاعتي الحضور، يبدو انها نسيت ابلاغه... هذا مؤسف».

لكن... هل نسيت شيري ذلك حقاً؟ او بكل بساطة قررت ان لا تبلغه؟ كل ذلك يبدو مناف للعقل... شكراً لله انه بعد كل ذلك، اقتصرت المصيبة على مطبخ قذر...

«علي ان ابدأ بتنظيف المطبخ» قالت دومنيك.

«هل تريدين ان نساعدك؟» سألها هيغو.

اطفأت جهاز التلفزيون قائلة «عليكما الاهتمام بغرفتكما».

«سترتبها ماريا عند عودتها» اجاب هيغو متأملاً التلفزيون بانزعاج.

«نعم، وحنا ستهتم بتنظيف المطبخ!» قالت ماليسا، «لن نهتم بالاعمال المنزلية ابداً... حنا وماريا خدم! سيقومون بكل شيء».

تفرستهم دومنيك بغضب ودهشة.

«حنا وماريا بشر! انهما هنا لتهتما بشؤون المنزل، وليس عليهما ان يستسلمان لنزوات طفلين شقيين».

«شيري تعتبرهما خدم وقالت لشارل انه سيكون مجبراً لاستخدام غيرهما اذا استمر باستقبال مزارعين تحت سقف بيته... اليس كذلك يا هيغو؟».

«نعم! المزارعين... نحن» اجابها هيغو.

«لم تصدق دومنيك ما تسمع، اصفر وجهها من الغيظ،

كيف تتجرأ بنعت اخيها واختها بالمزارعين؟.

«عندما تنتهيان من ترتيب غرفتكما، جهزا اغراضكما لننتقل الى منزلنا».

«الى المنزل!» نطقا بها سوياً، «لكننا لا نريد الذهاب لقد وعدنا شارل بالبقاء هنا شهر كامل!».

«عليكما اطاعتي في الحال».

بعد ذلك خرجت دومنيك من الصالون غاضبة، كيف استطاع شخصان راشدان التكلم هكذا كلام امام طفلين بريئين؟.

ربطت مريول المطبخ حول ظهرها عندما ظهر شارل على باب المدخل، بدا عليه التعب وكأنه لم ينم الليل.

«ارى انك لم تضجري في فترة غيابي».

اسرعت دومنيك واخذت عنه جاكيتته واجبرته على الجلوس وقدمت له فنجاناً من القهوة...

التفتت فجأة عندما اقترب شارل منها فضمها الى صدره واغمضت عينيها عندما وضع شفتيه على عنقها.

«اوه، دومنيك لقد افتقدتك خلال الايام الماضية».

ارتعشت عندما اقترب فمه من اذنها واضاف.

«وأنت هل اشتقت الي؟».

«لا!» ردت عليه دومنيك دافعة اياه بعيداً عنها.

«حركتها المفاجئة جعلتها تركض وتحتمي بزاوية الطاولة.

«اني... اني لم انسى كلامك تلك الليلة!» همست له بمرارة، ثم اقتربت منه واشفقت على حاله.

«كيف اصبح حال اخ حنا؟».

«كان ما بين الحياة والموت طيلة الليل، لكن الخطر قد زال الآن، وقال الاطباء انه سيشفى تماماً بعد شهور... حنا وماريا مشوشتان، فأعطيتهما عدة ايام اجازة ليهتما بزوجته».

هل يريد القول انه لم يعد قادراً على الاحتفاظ بالاطفال؟، لقد سبق واخذت قراراً باستعادتهما، والاّ ستشعر بالذل لرؤية اخويها يطردان خارجاً كمتشردين!.

«اني مسرور لانها غير موجودة الآن لترى هذه الفوضى! اتمنى ان ننجح في تنظيفه!... هل كان العشاء لذيذاً؟ كانت حنا قلقة كانت تخشى ان لا تتمكن شيري من تحضير العشاء في الوقت المحدد.... انت... لم تكوني مجبرة على الصبر طويلاً...».

لم تجب دومنيك واخذت توضب الصحون لجليها، اقترب منها شارل واضعاً يديه على كتفيها هامساً لها.

«ارجوك ان تسامحيني يا دومنيك».

لم تستطع سوى ان تنظر اليه، ما هذا التغير المفاجيء في موقفه؟ المرة الماضية كان ساخطاً جداً عليها.

«ليس هناك من داع لذلك».

«لقد بينت لك اني نادم على ما قلته».

قبلها بنعومة ظاهرة، النذل! بأي حق يتصور ان قبلة تكون كافية لمحو الالم الذي سببته اتهاماته لها؟.

«مداعبة تداوي كل الاسى...».

«استطيع القيام بأفضل من هذا...».

«لا شكراً، انك لطيف، جداً، ولكني افضل بكل بساطة...».

«دومنيك هل عندك من الطيبة لتسامحيني على سوء اختياري لالفاظي»، واذا قلت نعم، سأنسى هذه الاساءة! اضافت في نفسها.

«اذاً ماذا تقول؟».

«اقول اني مستعد لفعل اي شيء لاراك مبتسمة!».

دارت بسرعة محتارة، انها مجنونة به ومنذ لحظات اخبرها هيغو وماليسا انه يعتبرهم مزارعين؟ وضعت الصحون على الطاولة، امسكها شارل قائلاً.

«اجلسي! سأهتم بذلك بمفردي».

«لا... تبدو مرهقاً، هل تحس بالجوع؟ سأضع الابريق على النار لتحضير قهوة منعشة».

«اوه، دومنيك لقد كنت صادقاً عندما رغبت ان تكوني مشاقة لي وتفتقديني، البارحة مساء... شعرت بالاطمئنان لكونك حيث الدفء والأمان في المانوار القديم أسني الوحيد كان اني لم استطع ان اكون بقربك... كنت اتمنى ان اجدك عند رجوعي» اعترف لها هامساً.

«كم هذا مؤثر!».

التفتا فجأة ظهرت شيري على الباب: مرتدية قميصاً شفافاً زهري اللون، شعرها مسدل على اكتافها اقتربت من الفتاة قبل ان يكتشفا نواياها.

«ايتها الساقطة الصغيرة!» وصفعتها على وجهها.

فامسكها شارل واجلسها على الكرسي.

وبذهول راقبته دومنيك وهو يهتم بها وكأنها الضحية تلمست دومنيك خدها الاحمر.

ارتمت شيري في احضان شارل الذي اخذ يواسيها والذي نجح اخيراً في اخراجها من المطبخ.

ظهر هيغو وماليسا.

«ما الذي جرى لشيري؟» سألها الصبي، «اصطحبها شارل الى غرفتها».

«نعم، وكانت تبكي».

«لقد رتبنا غرفتنا مثلما امرت، انك بطيئة لماذا لم تنتهي انت من عملك بعد؟».

«نعم» قالت ماليسا «لماذا؟».

«كنت تتهمينا بالبطء».

«كان عليك ان تطلبي من شارل ان يساعدك» قالت ماليسا.

«كيف يساعدها شارل وشيري بين ذراعيه؟» تدخل هيغو.

هزت ماليسا كتفيها.

«فات الاوان... لانه اخذها الى غرفتها، وعندما يدخل هذه الغرفة يتأخر عادة بالخروج».

«هذا صحيح! اني اتساءل ماذا يفعلان؟» قال هيغو.

«انهما يتعانقان برأيي» قالت ماليسا.

«كاذبة! لا اصدق ذلك ابداً، شارل لا يقبل امرأة قط» قال لها هيغو.

«بلى... بلى لقد رأيته يعانق شيري ويقبلها» اجابته

ماليسا.

«اعتقد انك تكذبين!».

«هذه هي الحقيقة».

سمعت دومنيك هذه المحادثة بضيق، ولتنهي الجدال وضعت يديها على اذنيها.

«اسكتا من اجل السماء! اسكتا!».

«ماذا بك؟» سألها هيغو، «اننا نتكلم عن شارل وشيري وما السيء في هذا؟».

بعد ذلك النقاش... ارتمت دومنيك على الكرسي باكية.

تعجب الولدان من ذلك، وقال هيغو لماليسا.

«اصبحت دومنيك وشيري حزينتان معاً، ما الذي فعله شارل لهما ليصبحا على هذه الحال؟».

لم يطل شارل البقاء مع شيري. نصف ساعة ونزل الى المطبخ، الغسالة تعمل دومنيك اولت مهمة تنظيف الاواني الى هيغو وماليسا. ارض المطبخ نظيفة ناشفة. اخذ شارل منشفة واخذ ينشف الاواني. مالت دومنيك رأسها لأنها كانت تعلم ان عينيها حمراوتين من كثرة البكاء. لكنها شعرت بثقل نظراته من خلفها.

«اني آسف، لم تكن شيري بحالة جيدة منذ فترة. يبدو انها مصابة بالرشح».

«هذا مبرر لكل شيء!» ندمت على كلامها، ماذا ستجني من تصرفها مثل شيري؟ كان شارل موجوداً، مرهقاً...

«اتمنى ان تتحسن غداً» اضافت دومنيك لتكفر عن ملاحظتها السابقة.

استمروا بالعمل حتى اول فترة بعد الظهر. ثم سألهم شارل:

«من يشعر بالجوع؟ انهم لم يتذوقوا جميعاً الطعام منذ الصباح».

اخرج شارل الجبنة والزبدة من البراد.

«قد تأخذ شيري سندويشاً من الجبنة وكوباً من الشاي؟» اقترحت دومنيك ثم اضافت:

«هي جائعة بالتأكيد. لم تتناول شيئاً خلال النهار» ابتسم لها شارل.

«لقد صفعتك صباحاً وعندك قلب لتشفقي عليها...».

«لقد قلت لي انها ليست على ما يرام. ولن تتحسن حالها اذا لم تتغذى جيداً».

«بالطبع».

رفع حاجبيه ساخراً.

«هل تريدين ان تأخذي لها طعامها او علي ان افعل ذلك؟» ترددت دومنيك، ستغضب شيري لرؤيتها، لكنها لا تريد ان يعتقد شارل انها خائفة منها...

«ساتولى ذلك بنفسي».

«اقترح عليك ان تستجمعي قواك اولاً ولا تواجهيها ومعدتك خاوية».

لاح في عينيه بريق قوي فاندفعت دومنيك ضاحكة.

«انت على حق!».

بعد ان انتهوا جميعاً من تناول الطعام، تولت دومنيك تحضير سندويشات شيري، بينما شارل والاطفال تولوا تنظيف الطاولة.

«اين هي شيري؟» سألته دومنيك.

«في الغرفة الثالثة على اليمين، هل انت مصرة على الذهاب بفردك؟ اليس هذا ثقيلاً عليك؟».

«كلا... انت تعلم ان سندويشاً وكوباً من الشاي لا يزنان طناً!» اكدت له بسرور، وعندما وصلت الى الطابق الاول طرقت باب الغرفة الثالثة بلطف.

«ادخل يا عزيزي!».

عندما ظهرت دومنيك على الباب، غيرت شيري لهجتها بسرعة.

«آه، هذا انت! ماذا تفعلين هنا؟ كنت اعتقدك ذكية لتذهبي الى منزلك».

«ساذهب لاحقاً» اجابتها بهدوء وهي تقترب من السرير.

«دور الخادمة يليق بك تماماً! انك مثالية والصينية في يدك».

«حقاً؟ كم هو لطيف ان تشيري لي بذلك!».

«بالتأكيد، شارل اجبرك على احضار الطعام لي، امر خدمتي كان كريهاً بالنسبة اليك!».

«ابداً، دائماً بالخدمة».

«ماذا؟».

«هو... يسمح لك بـ... كيف تتجرأين! شارل يركع عند ركبتي لو طلبت منه ذلك!».

«انت تحبين رؤية الرجال تحت قدميك، اليس كذلك شيري؟ بالنسبة لي افضل ان يكونوا واقفين بشكل مستقيم» نظرت الى الصينية التي وضعتها على الطاولة.

«هل تفضلين الأكل وانت جالسة ام نائمة؟».

«ايتها الشرسة! اخرجي فوراً» هزت دومنيك كتفيها.

«كما تريدين... لست بحاجة لشيء بالتأكيد؟ انك مريضة وتعانين... وجهك احمر يبدو عليه الارهاق يبدو انها حمى».

«اخرجي... اخرجي من هنا!» صرخت بها شيري جمدت دومنيك مكانها.

«تودين حتماً ان اتركك..؟ لاتر...؟».

«اخرجي!».

«حسناً! حسناً بما انك تصرين» ومشت بخطى بطيئة وثابتة نحو الباب، وما ان اصبحت خارجاً حتى انطلقت ضاحكة، فتلقاها شارل عند اسفل الدرج.

«اذن..؟».

«جرى كل شيء على ما يرام».

بالنظر الى تعابير وجهك، اكتشف انك حققت نجاحاً باهراً، انت رائعة!».

«آه، نعم، ربما لأني وجدت الوسيلة التي اتعامل بها مع شيري».

ضمها شارل بين ذراعيه.

«شيري فتاة مغنجة، لكنها طيبة واني سعيد لأنك وجدت وسيلة للتفاهم معها» مشيا سوياً نحو المطبخ.

«اين الاولاد؟».

«في الصالون يلهوان بلعبهما» اتت اللحظة المناسبة لتعلن له انها ستأخذ الاولاد الى بيتها لكنها عجزت عن ابلاغه ذلك. لا بأس ما زال باكراً على ذلك... حتى ينتهيا من حفلتهما.

«لم يأكل بينغو شيئاً. هل يزعجك ان اطعمه؟».

«ارجوك... انه فرد من العائلة! اعطيه كل ما يرغب!».

اقتربت دومنيك من الخزانة حيث وضعت اللحم المحروق في ورق المنيوم.

«ما هذا؟» سألها شارل.

«لحم البارحة».

«مسكينة شيري، ليس لها خبرة بالمطبخ! على الاقل استحقت ان تجرب... لقد كنت قلقاً من تركها تهتم وحدها بالاولاد وبالعشاء. لكن حنا دونت لها ملاحظتها. وكنا نعلم انك ستحضرين ووعدت شيري انها ستقدم لك غرفة كصديقة لها» وضع يده في جيبه، متأملاً اللحمة السوداء.

«للحق، اني سررت بخروجها من السرير لأنها كانت مصابة بالكريب وهذا ليس سهلاً... بالطبع كنت مسرورة بالرجوع من عملك لتجلسي على الطاولة باسطة رجليك لمدة على الاقل!».

هزت دومنيك رأسها كان شارل سعيد! لم تتشجع لتقول له الحقيقة المرة، اخذت تقطع اللحم لتجد قطعة صالحة لتعطيها لبينغو الذي سال ريقه سلفاً. اخذ شارل السكين

من يدها.

«لن نعطي الكلب من هذا اللحم؟ سيتسمم».

«لا بأس، سافتح له علبة لحمة في البيت».

«شارل جهز الاولاد انفسهم، سآخذهم معي».

«لماذا؟».

التفتت نحوه.

«لقد قلت لك، لقد شفيا، وليس هناك داعٍ للأقامة هنا».

«هذا هو السبب الوحيد؟».

«بالطبع!».

«لقد سبق ووافقت على اقامتهما شهراً كاملاً!» شحب وجهه وحاول جاهداً ان يكبت غضبه.

«اني اعلم، لكن...» امسكها بوحشية.

«ولكن ماذا؟».

«توقف، انك تؤلمني!» اخذ يرمقها بنظرات حادة.

«اجيبي، لماذا تراجعت بكلامك؟».

«لأنه ببساطة...».

«سيبقيان وانت ايضاً!» ثم تركها شارل مدركاً انها لا تستطيع الحراك.

جف حلق دومنيك، عضت على شفتيها ولوت عنقها الى الخلف وشعرها الكستنائي يحتوي وجهها، عيناها تفضحان حبها الجنوني.

«ليس بنيتي الخضوع لرغباتك! ساصطحب الاولاد معي هذا المساء، هذا نهائي».

«دومنيك، لا تحمليني على الغضب. اني احذرك... اني».

«انـا احملك على الغضب؟ انت تمزح! انـا من دفعت يميناً وشمالاً، مهزوزة، مذلولة، متهمة...».

لاحظت دومنيك شحوبه.

«حسناً، اذا كنت مصرة على اخذهما معك اذهبي» ترددت، منقبضة القلب. فهي لاتود الرحيل الآن!.

«لقد سبق وحضرا اغراضهما».

«هذا لا يدهشني اطلاقاً».

«انت.. هل تواقف؟».

«كيف اوافق؟».

«لست ادري بما ان حنا غائبة، تساءلت اذا كنت بحاجة لـ... وخاصة وان شيري مريضة» لم تعد دومنيك تدري ما تقول، ثم قالت له هامسة:

«اني افكر بك».

«هـذا كرم منك، افضل مساعدتك العملية على المساعدة المجردة. لكن قد تكوني من اللواتي يتخلين عن الغير عندما يكونون بحاجة اليهن».

«بالتأكد، لا! بكل بساطة اعتقد انك بحاجة للبقاء مع شيري وحدك «فضحك شارل واجابها:

«انها مريضة! فلماذا اتمنى البقاء بقربها؟».

لم تعد دومنيك تفهم شيئاً. بما انه يحب شيري يجب ان يكون سعيداً ببقاءه معها، اليس كذلك؟.

«اذا بقيت انا، فماذا استطيع ان اخدمك؟».

«في البداية، بامكانك الاهتمام بالمطبخ».

«وبعد ذلك؟».

«وفيما بعد بامكانك الاهتمام بشيري... بامكانك...».

«ارى، انك تريد بمعنى آخر ان تجعلني خادمة عند شيري. وعندما انتهي من واجباتي احبس نفسي هنا امام الفرن...» ورمت اللحم المحروق في صندوق القمامة.

واتجهت نحو البراد واخرجت منه اللحم الطازج وقطعته قطعاً متساوية. وناولت الطبق لبينغو الكلب. واسندت ظهرها خلف آلة الغسيل ومع انها كانت تشعر بالتعب ظلت واقفة.

«حسناً... حسناً ولكن على شرط» ابتسم شارل وتأملها من رأسها الى قدميها. فارتعشت قليلاً واخفضت نظرها.

«ما هو شرطك؟» بلعت دومنيك ريقها.

«نحن نحارب بنفس السلاح».

ابتسم من جديد.

«ماذا تعنين؟» واقترب منها وداعب خدها وهو لا يزال يتأملها.

«ثياب الاطفال كلفة الطبيب...» ثم تنهدت واضافت:

«والسيارة».

«اتعتقدين ان بمساعدتك لي خلال عدة ايام، هذا يكفي لسداد تلك النفقات؟».

«نعم، هذا الاتفاق يتضمن ايضاً شكري الخالص!».

«حسناً، اذا كان هذا كل ما يجب عليك...».

بعد قليل صعد شارل الى غرفة شيري. فعادت دومنيك الى منزلها واحضرت بعض حوائجها واقفلت الباب جيداً. وعندما اقتنع شارل بانها ستنام في المانوار، اختار لها غرفة خاصة لكنها اختارت الغرفة المقابلة لغرفة الاولاد.

كانت الغرفة واسعة ومرتبة، وتغطي النوافذ برادي من الستان الازرق. والسرير مغطى بشرشف ازرق جميل جداً. وكان لها حمام خاص. وفيه عدد من المناشف الكبيرة النظيفة، يا لهذه الفخامة! ثم جلست امام المرآة... وخلعت حذائها وتحسست الموكيت... بالنسبة لخادمة، هذا كثير...!.

وضعت حقيبتها على المقعد. وبدأت تفرغ محتوياتها. لم يكن معها اشياء كثيرة... ولكن عندما فتحت الخزانة، وقفت مذهولة كان امامها تشكيلة من الفساتين الرائعة، لم تفكر بحياتها ان تحوز على مثلها!.

دفعتهم جانباً وبعناية فائقة كي لا تجعلكهم... هل اشترى شارل كل هذه الاثواب لعشيقاته الكثيرات؟ شعرت دومنيك بالوحدة. فالصغار في اسرتهم. ولم يعترضوا على تمديد اقامتهم في المانوار.

ولم تر دومنيك شارل بعد العشاء. وعندما اعلمته بان العشاء اصبح جاهزاً، حمل صينية وضع عليها عشائه وعشاء شيري واختفى. وظلت دومنيك في المطبخ مع الاولاد، شعرت بحزن كبير.

«لماذا يجب ان نتناول العشاء هنا؟ هل هذه اول مرة نتناول طعامنا هنا».

«لا تضج بمعلقتك» امرته دومنيك.

«ولكن لماذا؟».

«هكذا، لأن شارل ادى لنا خدمة، ونحن الآن نشكره».

«بعشائنا في المطبخ!».

«لا، بل باهتمامنا بالاعمال المنزلية».

«هل ستكونين خادمة عند شارل؟ مثل حنا؟».

«تقريباً، ولكني اخاف ان اكون اقل قيمة منها».

«هل ستلبسين الزي الذي تلبسه حنا؟».

«لا، لم يطلب مني ذلك حتى الآن؟».

«لماذا لا تكون شيري خادمة عند شارل؟» سألها هيغو.

اخذت دومنيك تقطع غرفتها ذهاباً واياباً خائبة، محتارة، انها الساعة التاسعة والنصف. الا يزال شارل مع شيري؟ حاولت ان تتجاهل شعور الغيرة الذي ينتابها، كانت تنتظر ان يتناول العشاء معها ومع الاطفال! ولكن لا، انه يفضل رفقة شيري على رفقة آل ماكليفر!.

على كل، هذا ليس غريباً على الاطلاق، قالت ذلك بمرارة فشيري جميلة بشكل عام، بل هي فاتنة. اخذت تنظر الى نفسها بالمرآة مقارنة نفسها معها، شعر شيري اشقر طويل وناعم. اخذت تتساءل ماذا لو غيرت لون شعرها الى اشقر. بالطبع ستبدو مضحكة!.

زاد اضطرابها دقيقة بعد آخرى. شعرت بخيبة الامل منذ ظهور شيري. اي غباء جعلها تقبل بالعرض الذي قدمه لها شارل؟ ماذا تفعل في هذا المانوار؟ اي سعادة ستشعر بها وهي ترى الرجل الذي تحب يرعى امرأة آخرى. انها لا

تستطيع تحمل ان تكن الشاهدة على حبهما. صورة شارل بين ذراعي شيري تعذبها، تجرحها.

بعد ان انتهت من اخذ دوشاً ساخناً، لفت نفسها بمنشفة صفراء وتجمدت واقفة على عتبة الغرفة مندهشة، شارل هنا ممدد على سريرها نظرت الى الباب، هل ستدخل شيري الآن غاضبة؟ اخذ قلبها يخفق بسرعة ورجلاها ترتجفان.

«شارل، ماذا تفعل هنا؟».

خنقتها العبارات، فلم تعد تستطيع التعبير. نظر شارل اليها مطولاً.

«اني استريح... اني انتظرك!» نظر اليها باعجاب حدقت دومنيك بقدميه محتارة مضطربة مثارة كونها لم تفكر في احضار روب حمام معها.

«هل ستقبين واقفة هناك؟» همس ووقف واقفل الباب.

«هكذا لن يقدر احد على الدخول» توجه نحوها برشاقة.

«لن يأتي احد... الكل ينام ملىء جفونه» واحاطها بذراعيه قبل ان تتمكن من الحراك.

«شارل ارجوك...!».

انحنى فوقها مطبقاً شفاهه على فمها.

«انت تعلمين لماذا انا هنا، اليس كذلك؟ ستكونين لي هذه الليلة!».

صوتاً داخلياً نصحها بالمقاومة. لكنها كانت غير قادرة كانت تذوب رغماً عنها. انحنت نحوه وقدمت له وجهها

وجسدها.

وكما في الحلم، احست بتزحلق المنشفة عن جسمها وكما في الاحلام تركته يحملها الى السرير...

في الصباح التالي، بقيت دقائق مستلقية على ظهرها تسمع حركة الصباح في المنزل، التفتت حولها لا يوجد احد هل كانت تحلم؟ ارتدت ثيابها... وادركت انها لم تعد هي نفسها... اصبحت امرأة و.... هنأت نفسها.

www.liilas.com مـــرمـــوريـــة

الفصل الثالث عشر

اذن لماذا هذا الشعور بالأسى؟ لماذا هي حزينة؟ وقفت لتنظر الى نفسها في المرآة. . . في هذه اللحظة فتح باب غرفة الحمام وظهر شارل مبتسماً مرتدياً ثيابه، وقف خلفها ووضع يديه على كتفيها.

«يا الهي، كم انت جميلة» همس باذنها وضمها اليه.

«شارل. . . البارحة مساء. . .».

«كانت ليلة امس رائعة. . . وكانت فاتنة».

«لكنك لم. . . لم تقل لي ان. . .».

«انك الامرأة الاكثر اثارة؟».

لم يلاحظ الدموع التي تجمعت في مقلتيها والتي سالت بعد خروجه.

مثيرة! كان الألم يفوق الاحتمال؟ مثيرة؟ هل للحب

مكان في مغامراته؟ لا! الرغبة تتصدر الباقي! وبجهد يفوق الطبيعة استطاعت دومنيك ان تتحضر وترتدي ثيابها وتنزل الى المطبخ. شارل يعمل بنشاط امام الفرن، رائحة القهوة الطازجة لم تنشرح دومنيك كالسابق ليس اليوم. اليوم تعي فقط غباءها وطعم المها الذي لا يوصف.

«صباح الخير ايها الاولاد. . . هل نمتما جيداً؟».

«لا! كانت ماليسا تشخر طول الليل» اجاب هيغو.

«هذا ليس صحيحاً» اعترضت ماليسا.

«بلى، هذا صحيح. كان فمك مفتوحاً، ووددت اقفاله باي شيء».

نظرت دومنيك الى شارل الذي كان يحاول ان يخفي ضحكة.

«هذا يكفي انتما الاثنان! توقفا عن الشجار. الا تلاحظان ان اختكما الكبرى بيننا اليوم؟» قال لهما شارل وقدم لها كوب القهوة.

فاطاعه الولدان. وتفاجأت دومنيك من طاعتهما له. وجلست معهم قرب الطاولة.

يبدو ان مزاج شارل جيد اليوم! لقد بلع الهر المتوحش الفأرة الصغيرة! كانت تفكر بأسى.

«يا لهذا المنظر الرائع. انه منظر عائلي حميم».

التفتت دومنيك ببطء وشاهدت شيري تقف امام الباب وكانت ترتدي بنطلون ابيض، وكنزة بيضاء وكأنها ملكة الثلج، وشعرها الاشقر الطويل يسترسل على ظهرها، واقتربت من شارل دون ان تنظر الى دومنيك وقبلته على

فمه.

«عزيزي لماذا تزعج نفسك منذ الصباح؟ كنت اعتقد انك اوليت هذه المهام لدومنيك».

«اني لم اعهد لدومنيك باية مهمة».

«آه، لا في هذه الحالة ما سبب وجودها هنا؟» احمرت وجنتا دومنيك. اخذت تفكر اي منهما يكرهها اكثر؟ شيري او شارل؟ الاثنان!.

«شارل، اين امضيت ليلتك هذه؟» ارتجفت دومنيك وذهل الطفلان لكن شارل لم يبدو عليه الانفعال.

«استطيع ان اؤكد لك اني لم انم في الكاراج» اجابها ضاحكاً.

«ولا في سريرك! سمعت في الليل ضجة فاستيقظت وتوجهت نحو غرفتك فلم اجدك في السرير».

«انا ايضاً كنت قلقاً، ويبدو انك دخلت عندما تركت المنزل».

«انا اعرف مصدر الضجة! تدخل هيغو... انها بالتأكيد ماليسا التي كانت تشخر» ردت عليه شيري خائبة.

«اوه، اخرس انت».

في الصباح التالي اصطحب شارل شيري والاولاد في نزهة دعيت دومنيك للذهاب معهم، لكنها تهربت بحجة ان عندها عمل كثير. فهي تعمل لسداد جميع ديونها.

تجمع الجميع في المطبخ عندما كانت دومنيك تنظف الفضيات.

«هل نستطيع تحضير شوكولا ساخنة؟ اتمنى ان لا

يزعجك هذا...» سألها شارل.

«لا ابداً، ولم يزعجني؟ هذا بيتك وهذا مطبخك!» قاطعتها شيري.

«شارل، دع دومنيك تهتم بذلك. دعها تحضر الفطور الى الحديقة فهي رائعة في مثل هذا الوقت» ووضعت يدها علي يده. تدخلت دومنيك قائلة:

«فكرة رائعة! اسبقوني وسأحضر الفطور في الحال».

اقتراح شيري لم يعجب شارل ابداً ثم قال:

«لا تكوني غبية، انك تأخذين دور الخادمة على محمل الجد. لم تكن حنا تخضع لرغباتنا ابدا بهذه الطريقة فلماذا يبدأ هذا معك؟».

«آه لا؟ سيكون هذا افضل لأني اود ان انظف اثاث غرفة الطعام قبل ان انقل الفضيات اليها. وعلي ان انظف البيت بالمكنسة الكهربائية» ثم وقفت متأهبة للعمل فجأة. قال هيغو لشارل:

«لا تقلق عليها انها تغضب دائماً عندما تبدأ بالعمل بالمكنسة الكهربائية».

«شارل، لو كنت مكانك لكنت...» ابتعدت دومنيك بسرعة، كي لا ترى شيري وشارل معاً.

بعد فترة انهت الاعمال المنزلية فتنهدت براحة، ستترك المانوار قريباً فهي الآن في قمة انفعالها ان تردع شارل، هذا يبدو صعباً بل مستحيلاً. هي تعلم ان تصرفها يدهش سيدة المنزل، مع ذلك فهي مسرورة لأنه لو كانت شيري هنا، عندما يخرج من مكتبه، ستتأثر به فوراً. اللحظات

الحاسمة كانت فترة الغداء لأنها كانت مجبرة على مواجهة شارل مباشرة. ولكن لحسن الحظ ان شيري انجدتها عندما احتكرت الحديث.

تحول حديثها الى مونولوج عن نفسها وعن اصدقائها وعن علاقاتهم، عن فراقهم وطلاقهم واسترسلت في استغابة اصدقائها موضحة ادق تفاصيل علاقتهم. كانت كنذير الشؤم المدمر.

كانت دومنيك على وشك الانتهاء من ترتيب غرفة الطعام عندما دخلت شيري حانقة.

«اعتقد انك انتهيت من فوق!» صاحت بنبرة عاتبة.

اجابتها بهدوء:

«نعم انتهيت منه كلياً».

«لقد نسيت غرفتي، سريري غير مرتب، كما البارحة ايضاً» نظرت دومنيك اليها مطولاً.

«ليس علي ان...».

«بلى وانصحك ان تسرعي لانه ليس في نيتي فعل ذلك بنفسي».

«انت تمزحين!».

«لا، ابداً! لقد تركت غسيلي الوسخ على الكنبة ولم تغسليه».

«اني لا افتش الغرف. واذا احببت احضري غسيلك في المطبخ، سأضعهم في الغسالة غداً...».

«ماذا؟».

«طبعاً، لأني غسلت كل شيء اليوم. وانا اكيدة ان

الاولاد سيلوثون ثياباً كثيرة اليوم اذا احضرت ثيابك سأضعهم مع ثيابهم».

ارتمت شيري على كرسي ترقب الأخيرة وكأنها وحشاً ذا رأسين.

«في الغسالة!... الدانتيل الناعم!».

«اذا كنت لا ترغبي في ذلك، باستطاعتك ان تغسليهم بنفسك».

وقفت شيري وسدت عليها طريق المرور.

«لن تجري الامور هكذا ساعالجها شخصياً».

«هل لك ان تدعيني امر، علي اعمال لأنجازها».

«برأيي انك موهوبة، سيعرض عليك شارل مساعدة حنا عندما نكون في شهر العسل».

«ربما لست على علم؟» تابعت شيري قائلة:

«شارل وانا سنتزوج قريباً. ستكونين سعيدة اليس كذلك؟ ستهتمين بثيابه وقمصانه... المانوار كبير جداً وحنا لا تستطيع الاهتمام به وحدها انت متلهفة لأرضائه نهاراً... كما ليلاً!».

«انت تتكلمين كيفما كان. اذا كنت اخدم شارل فهذا موقفي تجاه خدماته السابقة لنا. هذا كل شيء ببساطة».

«اني لا اصدقك فلست غبية!» اخذت تنقر الطاولة باصابعها.

«الن تهنئيني؟ ام انك تتصورين انه سيتسنى لك امتلاك شارل بعد؟».

«لم يخطر هذا ببالي» اجابتها وهي تنظر الى يد شيري

اليسرى.

«اعتقد انك تتساءلين اين خاتم الخطبة؟ شارل يفضل الياقوت او الزمرد، اما انا فافضله من الالماس».

«تستطعين التوصل الى تسوية، في ايامنا هذه يشتري خاتم الخطبة من ثلاثة احجار».

هل هي مجنونة؟ كيف تستطيع مناقشة امر خطبة شارل مع واحدة آخرى؟ اية جريمة ارتكبتها لتستحق مثل هذه الاهانة؟.

«للحق، انها فكرة رائعة. اعتقد ان شارل سيوافق عليها. وبالمناسبة لا تتصوري يا دومنيك انك ستستمرين بالخدمة عند عودتنا من شهر العسل... لا اريد ان يخونني معك... لقد سامحته على تلك الليلة، معظم الرجال يقعون في المجون قبل الزواج».

شعرت دومنيك بانها محطمة، محقرة مذلولة، مهانة فجبيبها شارل انجز ترتيبات زواجه القريب. في المساء دخلت المكتب لتصحح اوراقها وتحضر للامتحانات، سهرت حتى ما بعد منتصف الليل محاولة طرد شارل وشيري من تفكيرها دون جدوى.

الغد ستكون حرة في مغادرة المانوار وستسدد ديونها. وستترك مع اخوتها. وبقليل من الحظ لن ترى شارل بعد ذلك وستقسم ان لا تقرأ له اية رواية في المستقبل!.

بعدما انهت تحضير مسابقاتها دخلت المطبخ لتحضر لنفسها كوباً من الحليب ولتعطي بينغو بعضاً من البسكويت. كانت على ركبتيها عندما ظهر شارل خلفها.

كانت تظن ان الجميع ينام لذلك تركت دموعها تنهمر بحرية.

عندما شعرت بوجود شارل، تفاجأت فوقفت ومسحت دموعها.

«كنت اعتقد ان الجميع في اسرتهم».

«انا ايضاً. اردت كوباً من الحليب. رأيت الضوء...».

«كنت اعمل... احسست بالعطش...».

«هل اعطيت البسكويت لبينغو؟».

نعم...».

كانت تنتظر ان يسألها عن سبب بكائها، لكنه لم يفعل. توجهت نحو البراد.

«بقي القليل من الكاتوه؟ هل ترغب بقطعة؟».

«لا، شكراً. سيبزغ الفجر قريباً ماذا تفعلين في هذا الوقت؟ عيناك حمراوتان، هل هناك ما يزعجك؟ ما كنت لأوافق ابداً ان تهتمي بادارة المنزل لو علمت مسبقاً ان هذا سيتعبك الى هذا الحد!».

دارت حول نفسها لأنها غير قادرة على تحمل نظراته دون ان تضطرب.

«لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً من حنا بعد الظهر، اخبرتني انها ستحضر غداً لأن زوجة اخيها اصبحت احسن حالاً ولا جدوى من بقائها هناك. عندما اخبرتها انك من يهتم بالمنزل انفجرت غاضبة ولا استبعد ان اتلقى عدة لكمات غداً عندما اذهب لأحضارها».

ابتسم لها واخذت اصابعه تتلمس طريقها نحو وجهها

وصولاً الى خصلات شعرها الكستنائي. تراجعت الى الخلف.

«لا، لا تلمسني ابداً» صرخت دومنيك.

وضع شارل يديه على كتفيها لأيقافها فشعرت بحرارة جسمه من خلال قميصه واصيبت بالغم.

«ماذا هناك يا دومنيك؟ انت تدركين مشاعري نحوك. بينما تبدين باردة، بعيدة محتارة...» سألها بصوت ناعم. مسح جبينه متردداً.

«لم تبتسمي ابداً منذ البارحة صباحاً! تبتعدين كلما اقترب منك... هل هذا بسبب شيري؟ هل جرحتك؟».

«لقد... لقد قلت لي اني سأفي بديوني لقاء بقائي عدة ايام» وضع يديه في جيوبه.

«نعم هذا ما اتفقنا عليه...».

«غداً، هو الثلاثاء...».

«نعم اننا الآن في يوم الثلاثاء واننا اصبحنا في فترة ما بعد منتصف الليل».

ارجعت دومنيك علبة الحليب ووقفت قرب الخزانة محاولة المحافظة على بعض المسافة بينهما.

«سارحل غداً».

«لماذا لن ارميك خارجاً! ابقي على الاقل حتى نهاية الاسبوع. ستعود حنا ولن تضطري لمزاولة اعمال الخدم. ارتاحي هنا قليلاً خاصة وانت قلت ان نهاية هذا الفصل متعبة جداً لك...» مالت برأسها يميناً وشمالاً.

«انك لم تفهم... ساترك المنطقة... لقد صممت

على ذلك! عندي اصدقاء في هوبارت يستطيعون استقبالي مع اخوتي حتى اجد بيتاً مناسباً.

فكرت بكل شيء الا ردة فعل شارل! استشاط من الغيظ وعض على شفتيه. هل سيضربها؟ وبأقل من خطوتين اصبح امامها وامسكها بقوة.

«لماذا؟ لماذا من اجل السماء، انك تحبين هذا الوادي!».

«هذا افضل، سيكبر الاطفال وسيكون لهم نشاطات خارج المدرسة. واذا سكنت في هوبارت، استطيع ايجاد وظيفة مدرسة بوقت كامل، هذا افضل...» اجابته بوهن.

تركها شارل واضاف:

«انك محقة ربما...».

كان اليوم التالي تجربة لا تحتمل بالنسبة لها ولحسن حظها خرج شارل مع شيري، وهكذا تتفادى نظرات العروس ورب المنزل.

صدم هيغو وماليسا بخبر انتقالهما الى هوبارت. وشرحت لهما ان ذلك افضل لهم جميعاً. وانها ستعمل وقت اطول وستجني مالاً اكثر. وانها ستربح الكثير في وقت قصير، وسيأتي شارل لمساعدتهم كلما احتاجوا له.

«ستكون شيري عند شارل، ولن يستطيع تحمل كل هذه المسؤوليات».

«هل سيتزوج شيري» سألها هيغو.

«نعم، يبدو ذلك» اجابته بابتسامة محاولة مؤساته.

«كنا نعتقد انه سيتزوج منك» قالت ماليسا والدموع في

www.rewity.com

عينيها ثم اضافت:

«لقد قال لي هيغو ان كل يسير حسب تكهناته».

التفتت دومنيك نحو هيغو وقالت:

«ماذا؟».

«لقد توقعت ان يتزوجك شارل. كان سيقبل بدون شك لو كان لديك شعر اشقر!».

«كشعر شيري» اضافت ماليسا.

لقد قلت لهيغو ان الرجال يفضلون ذوات الشعر الاشقر. لكنه لم يستمع لي! فاجابني ان لديك تموجاً ذهبياً في شعرك وهذا سيكفي! ولكن للأسف...».

انحنت دومنيك امامهما.

«اسمعاني جيداً. لن يتزوج شارل من شيري لأن شعرها اشقر فقط. سيتزوجها لأنه... لأنه يحبها».

«لنبقى اذن حتى عودته! قد استطيع اقناعه بالزواج منك بدلاً من شيري» رجاها هيغو.

ابتسمت له دومنيك بحنان.

«اذا عاد قبل الساعة الخامسة تستطيع ان تودعه لكني امنعك ان تقول له اية كلمة من حديثنا السابق».

لكن شارل لم يحضر لا الساعة الخامسة ولا الساعة السادسة، عند الساعة السابعة اعلنت دومنيك ان لحظة الرحيل حانت.

«ان الوقت متأخر للمغادرة الآن الى هوبارت، كما انك مرهقة، سنمضي الليلة في المنزل».

«وحنا؟ ستكون حزينة لعدم رؤيتنا قبل الرحيل» سألتها

ماليسا.

«اعلم يا عزيزتي، لكننا تأخرنا. اكتبي لها رسالة شكر عندما نستقر في منزلنا الجديد».

«لكن... لماذا لا نمضي الليلة هنا؟ اني افضل شكر الناس وانا انظر الى اعينهم».

«هذا مستحيل سنرحل عند الفجر».

ساعدت الاولاد على الدخول الى السيارة بعدما تأكدت ان كل شيء على ما يرام في المانوار.

كان منزلهم بارداً بعد اقفال عدة ايام اسرعت دومنيك واوقدت المدفأة والفرن وشرع هيغو وماليسا في خلع ثيابهما.

بعد ان غفي الطفلان قررت دومنيك اعلام اصدقائها بقدومها. فخرجت من المنزل لتتصل عبر هاتف عام سيراً على الاقدام لتودع قريتها الهادئة عندما تندمل جراحها ستعود لاحقاً.. ولكن ليس قبل بعض الوقت...

عند عودتها من اسفل الوادي، ظهر منزلها، كانت قد اضاءت المدخل، لكنها لا تتذكر انها تركت انوار الطابق الاول مضاءة، بالتأكيد استفاق هيغو وماليسا للدخول الى الحمام... كلما اقتربت كلما ظهر لها البريق غريباً...

اسرعت دومنيك ثم اخذت تركض، وعيناها جاحظتان من الفزع! حريق! المنزل يحترق! اسرع! اكثر سرعة اسرعي يا دومنيك ناداها صوت داخلي... عليك انقاذ الاطفال اسرعي!.

بهلع شديد شاهدت السنة اللهب تصل الى النوافذ،

اخذت تركض... سقطت نافذة من شدة الحرارة فاحدثت صوتاً رهيباً لم تعد ترى او تشعر بشيء، تقدمت باتجاه المدخل لا تعي سوى ان ماليسا وهيغو مسجونان داخل الحريق. اعتقدت انها تسمع صوتهما... وجدتهما هنا، امامها وجههما ملطخان بالسواد من اثر الدخان.

«انتما بخير لم تصابان! نجوتما!» سألتهما وهي في حال هيستيرية.

«لقد انقذنا شارل لقد رجع الى الداخل ظناً منه انك ما زلت هناك!» قال لها هيغو.

توقف الزمن عن الدوران، شارل! وبحركة بطيئة دارت حول نفسها... شارل!.

«تراجعا، تراجعا» امرتهما دومنيك.

شارل! الرجل الذي تحبه في خطر! شارل داخل الحريق! من بعيد سمعت صوت سيارات الأطفاء لكن الاوان كان قد فات حين وصولهم.

«شارل! شارل اين انت؟» صرخت دافعة باب المدخل برجلها.

سقطت قطعة من السقف وشرارات اللهب اخذت تحيط بها... رأته اخيراً بين السنة النار... رأته يمد لها ذراعه وسمعته يناديها... ثم انفجر المكان حولهما.

اقتنع الجميع بان خروج الجميع سالمين معجزة حقيقية. نجح شارل في اللحظة الأخيرة في دفع دومنيك خارجاً قبل انفجار انابيب الغاز. ولكن المعجزة الغير طبيعية كانت اهتداء شارل ودومنيك الى سبيل جنتهما...

جنباً الى جنب، وقفوا جميعاً ينظرون من خلال نافذة مكتب شارل، الى الهشيم الذي كان سابقاً منزلاً من الخشب.

«كنت واقفاً هنا، كنت اتساءل عما تفعلينه هناك، فقلقت عليكم» همس لها شارل وابتسم.

«عند عودتي مساء، تسلمت هذه الرسالة، عندما لاحظت ضوء المدخل» وضعت رأسها على كتفيه.

«انتظرناك حتى الساعة السابعة، كان الاولاد يريدون ان يودعوك».

«وانت؟».

هزت رأسها.

«لم يكن لدي الشجاعة، لماذا لم تشرح لي ذلك شارل امام شيري؟ لو تعلم مقدار تعاستي عندما علمت انك ستتزوجها!» اعترفت له فضمها وقبلها بلطف.

«لقد علمت انها نفذت مخططاً جهنمياً، لكنها لم تخبرني الا في آخر لحظة عندما اوصلتها الى المطار. لو لم يكن اهلها من اعز اصدقائي لكنت... دعينا من هذا الحديث. لقد ضيعنا الوقت الكافي بسبب شيري لن استطيع ابداً ان ابرهن لك عن مقدار حبي لك. احبك احبك، احبك...».

«آه، لقد حلمت بسماع هذه الكلمة منذ وقت طويل» فاحاط وجهها بيديه وابتسم بحنان.

«لقد احببتك منذ البداية، منذ تلك الليلة التي التقينا بها. كنت تسيرين وتنظرين الى الارض... كنت ناعمة

وتبدين ضعيفة. وبنفس الوقت قوية! واحتجت الى هذه الاسابيع حتى اتأكد من حقيقة مشاعري، وقد تكون شيري ساعدتني دون ان تدري. لو لم تكن شيري هنا، لو لم توجه لك الاهانات لما كنت قررت الرحيل، والهرب من الوادي كله. وعندما فكرت بانك سترحلين وبانني لن اتمكن من رؤيتك، تأكدت من انني لن استطيع تحمل العيش بدونك».

ضحكت دومنيك.

«ولو انني اختفيت في هوبارت بنفس الليلة؟ وكيف كنت ستعلم اين ستجدنا؟».

«كنت سابحث عنكم في كل المدينة حتى اجدكم. وكنت ساقتحم كل المدارس، وكل المعاهد. ولن يوقفني شيء الى ان اجدكم».

ثم نظر اليها وهو يبتسم.

«ولكن اطمئني، لم يكن علي ان اتحمل كل هذه المشاق، لأنني كنت متأكداً من انني سامنعكم من الرحيل، وكنت ساجلس امام بيتكم ما ان يطلع الفجر».

«كيف عرفت باننا سنرحل باكراً؟ فانا لم اخبرك بذلك يبدو لي... على الاقل... لكن لا! لقد اخبرتك باننا سنرحل، لكنني لم اقل لك الى اين...».

«هيغو ترك لي ورقة، وطلب مني ان اسرع واحضر اليكم قبل بزوغ الفجر».

«الـ... الشقي!» وضحكت طويلاً، واسندت رأسها على صدره، وشعرت بسعادة وهي تستمع الى دقات قلبه.

واخذ شارل يهدهدها.

«اين هم الاولاد؟ فانا لم ارهم هذا الصباح!» سألته دومنيك.

«انهم يعدون لك مفاجأة. وقلت لهم بان يصعدوا عندما يصبحوا جاهزين».

«مفاجأة؟ لي انا؟».

وفي هذه اللحظة بالذات فتح الباب ودخل هيغو وتبعته ماليسا.

«اغمضي عينيك وافتحي يدك» اطاعت دومنيك وابتسمت.

«افتحي عينيك الآن» صرخ الجميع.

دهشت دومنيك عندما رأت الصورة التي كانت تزين مدفأة بيتها. وعرفتها بسرعة لكن اطار الصورة كان جديداً، وسالت الدموع على وجهها.

«اوه، شكراً. شكراً انا... انا اعتقدت انها ضاعت في الحريق».

«ان شارل هو الذي انقذها من الحريق. وكان يخبأها تحت كنزته... كما ترين دومنيك، لقد انقذ شارل العائلة كلها» قال لها هيغو.

«نعم... نعم... ارى ذلك».

حمل هيغو وماليسا الصورة ليريا لحنا. فجأة احاط شارل رأسه بيديه.

«يا الهي، يا الهي! لقد غابت فكرة عن رأسي».

«ما هي؟».

«هيغو! لقد فكرت به هذه اللحظة، عندما ستتزوج سيكون اخي الصغير» فضحكت دومنيك.

«يا ايها المسكين!» وضحكا معاً.

«وماليسا ستكون ايضاً اختك الصغيرة!» فمددها شارل على الصوفا وتأملها بحنان.

«ان حظي كبير جداً، بان تكونوا كلكم معي، انتم الثلاثة».

«في اليوم الذي التقيت بهيغو عند ضفة البحيرة، كنت انت الذي يصطاد...».

«ولقد بلعت الطعم بنفسي!» اجابها مبتسماً.

«اعتقد بانه لم يكن معه الطعم».

«بلى، بلى، كان معه الطعم اللذيذ، اخته الكبرى الساحرة».

www.rewity.com
مرمورية